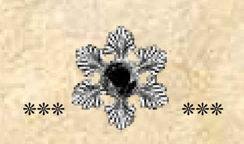
فتنة الحشَّاشين الجْدُد



*** ***



Feriduddin AYDIN
ORCID ID: 0000-0002-6440-6734
ISBN: 978-605-72570-4-8
feriduddin@gmail.com

دار العِبَر للطباعة والنشر
Al-Ibar Publishing

İstanbul-2018

فتنة الحشَّاشين الجُدُد

إنَّ تعبيرَ "الحشَّاشين الجُدُد "The New Assassins" تسميةٌ أطلقَها رجب طيب أردوغان (إذ كان يومئذٍ رئيسَ الوزراءِ) أطلقَهَا على عصابةِ فتح الله گولن، عَقِبَ أحداثِ 17–25 ديسمبر من عام 2013م. التي تورَّطَتْ فيها العصابةُ كأوَّلِ تجربةٍ للإطاحةِ بحكومةِ حزبِ العدالةِ والتنمية. وقد أُطْلِقَتْ على هذه الشَّبَكَةِ أسماءٌ أُخرى كـ"الدولةِ الموازِيَةِ"، و"الدولة العميقة"، و"العصابة الفتوشية (FETO) وإنما سُمِّيَتْ بـ"الحشَّاشين" لمشابهتِها بعصابةِ الحسن بن صباح المعروفةِ بـ"الحشَّاشين الإسماعيلِيّين" الذين انتظموا تحتَ إمرتِهِ وكانوا يقومون باغتيالِ الأمراءِ في العهد العبّاسِيّ.

يجب هنا تصحيحُ خطإٍ وقعَ فيه كثيرٌ من المؤرّخين بنسبةِ استعمالِ الحشيشِ إلى عصابةِ الحسن بن صباح. فالأقربُ إلى المعقول: أنّهم لم يستعملوا أيَّ مُخَدِّرٍ للأعصاب، لما في ذلكَ تعطيلُ حاسَّةِ الإنتباهِ والإنفعالِ، والإخلالُ بحاسةِ التفكيرِ والإدراكِ الحسّيّ... لكنَّهُ لا شكَّ في أنَّ أفرادَ هذه العصابةِ كانوا على أشدِّ حالٍ من الأُهْبَةِ واليقظةِ والانتباهِ؛ لأنهم كانوا يتلقّونَ تدريباتٍ احترافِيَّةً متمايزةً وفقَ مبادِئَ رصينةٍ يكتسبونَ على أساسِها تفوُّقًا منقطِعَ النظيرِ في فنونِ التنكُّرِ والتجسُّسِ والفروسيَّةِ، وإرباكِ الشخصِ المستهدَفِ وقتلِهِ بأشدّ وجوهِ الفتكِ، لِبَثِّ الرُّعبِ والدهشةِ والذُّعرِ في نفوسِ العامَّةِ. وهذه العمليات –لا شكَّ– أنها موقوفَةٌ على صِحَّةِ حاسَّةِ الانتباهِ قبلَ كلّ شيءٍ. كذلك عصابةُ فتح الله گولن، فإنَّ أفرادَ قِمَّتِهَا (المعروفين بالنُّخبَةِ الگولَنِيَّةِ) كُلُّهم يمتازون بأعلى قدرٍ من الانتباهِ، ويتَّسمون بمستوياتٍ عاليةٍ من الثقافةِ، واللسانيَّاتِ، وفنونِ الكلامِ والخطابِ، وتسحيرِ العقولِ، وإرباكِ المخاطَبِ بأساليبَ من المغالطةِ والجَدَلِ والتشكيك...

تمتازُ هذه الشبكةُ بخصائِصَ غريبةٍ وغامضة؛ لذا، لم يتمكّنْ أحدٌ من السياسيّين ولا الباحثين المحترِفين من الإطلاعِ على شيءٍ من تكوينِ هيكلِها، وتسييرِ نظامِها، وطُرُقِ التواصُلِ والعلاقاتِ بين أفرادِها على مدى فترةٍ تربو عن أربعةِ عقودٍ من الزمنِ، وهذا أكْسَبَهُمْ نجاحًا باهرًا في التسلُّلِ إلى أدقّ نقطَةٍ

استراتيجيةٍ في مرافق الدولة التركيةِ. كما استطاعوا أنْ يَصِلُوا إلى المعلوماتِ السِّرِّيَّةِ والمخزّنَةِ لَدَى أجهزتِها الإستخباراتيَّةِ، وأحاطوا بكلِّ ما تَمُتُّ بصلةٍ إلى برامج الدولةِ ومشاريعِها ووثائقِها المحرَّمَةِ من الكشفِ والإفشاء، فلم يخلُ منصبٌ ولا دائرةٌ رسميةٌ في تركيا إلاَّ وقد تسلَّلَ فيهِ عددٌ من بطانة فتح الله گولن، واستحوذوا عليه، خاصةً كانَ مُعظَمُ المناصِبِ في جهازِ القضاءِ والأمنِ تحت سيطرتِهم، وعددٌ غيرُ قليلٍ منهم كانوا يحتلّونَ مناصِبَ رفيعةً في القوات المسلحةِ التركية.

تُرى من يكون فتح الله گولن! هذا الذي ملأ دَوِيُّهُ الآفاقَ، والذي هزَّ الدولةَ التركيَّةَ في بداية العقدِ الثاني من القرن الحادي والعشرين، وأصبحَ محورًا هامًّا في الأنديةِ الفكرِ السياسِيِّ، ومحاطًا بهالةٍ من الاهتمامِ عبرَ الإعلامِ المحلِيِّ والدولِيِّ...

هذا الشخص، (بحسب المعلومات التي جَمَعَهَا وأثبتَها عددٌ من الباحثين) رجلٌ تركِيُّ الأصلِ من أهالي مدينةِ (أرض الروم) الواقعةِ في أقصى شرقي تركيا، وُلِدَ سنةَ **1941**م. لأسرةٍ متواضعةٍ من أوساطِ المجتمع التُّركِيِّ لا تحظى من الشهرةِ بأدنى شيء. قضى گُولَنْ أيامَ طفولتِهِ في بيئةٍ يسودُها أمراضٌ أخلاقِيَّةٌ غريبةٌ؛ تختلطُ في سلوكِ أهلِها الفضيلةُ بالرذيلة، تجتمعُ في علاقاتِهم الْمَحَاسِنُ وَالْقَبَائِحُ في آنٍ واحد! تراهم متقيّدين بأداءِ الفرائضِ من الصلاةِ والصومِ والحجِّ والزكاةِ، مهتمّين بتلاوةِ القرآنِ وحفظِهِ، لكنهم أشدُّ الناسِ عُنْصُرِيَّةً؛ يقدّسونَ الأمجادَ، ويعبدون سلاطينَ بني عثمانَ وأبطالَهم، وَيَكْرَهُونَ الأكرادَ والعربَ، ويعادونهم، ويحتقرونهم، ويعدُّونهم من ألدّ أعداءِ الأتراكِ... وعندما يعودون من زيارةِ الحجِّ والعمرةِ يدور معظمُ حديثِهِمْ حولَ مثالِبِ العربِ، يذكرون عنهم من البشاعةِ والخيانةِ والقذارةِ ما يثيرُ النفورَ والعيفَ والاستقذارَ في نفوس المستمعين...

نشأ فتح الله گولن في هذه البيئةِ بضواحي مدينة (أرضِ الروم) التي فتحها العربُ كما يظهر من اسم المدينة! قيل كان الرجلُ خبيثَ الطبيعةِ منذ بدايةِ نشأتِهِ مكَّارًا، حسودًا، حقودًا على كُلِّ ناجحٍ، منافِسًا كُلَّ فائزٍ، جانحًا للمكيدةِ، دسَّاسًا، يسعى بين زملائِهِ بالوقيعةِ وهو يومئذٍ مراهقٌ. كما قيل عنه أنه بينما كان في الكتَّابِ، وشَى بأُستاذِهِ الذي يعلِّمُهُ القرآنَ عند رجالِ الأمنِ بتهمةِ الإساءَةِ إلى مصطفى كمال، فدخلَ أُستاذُهُ تحتَ طائِلَةِ المادةِ رقم **5816** من قانو العقوباتِ، فاعتقلوه.

لقد اتَّفَقَ عددٌ من أهلِ الإختصاصِ في الطبِّ النفسِيِّ (ولا يريدون أن تُذْكَرَ أسماؤُهُم)، قد اتَّفَقُوا على أنَّ فتح الله گولن مُصَابٌ بنوعٍ من فِصامِ الشخصيةِ (الشيزوفرينيا) وأنه مريض النفسِ على مستوًى خطيرٍ، يبدو من خلالِ هزياناتِهِ وتصرفاتِهِ، وعبرَ إيحاءاته لبعض بطانته الْمُقَرَّبِينَ إليه؛ فقد

ناجاهم بأنّه المنقِذُ الذي ينتظرُهُ عالمُ البشريَّةِ منذ قرونٍ، وتُبَرْهِنُ هَفَوَاتُهُ التي أفشاها أحدُ أُمَنَاءِ سرِّهِ، تبرهن على اعتقادِهِ أنه الربُّ العظيمُ الذي تجلَّى في ناسوتِهِ ليكشفَ الْغُمَّةَ، ويُنْقِذَ البشريةَ مما وقعتْ فيه من ظُلُماتِ الظُّلْمِ والقتالِ والتناحُرِ، وجاءَ ليبشّرَ بحياةٍ جديدةٍ خاليةٍ من النزاعِ، يسودُها العدلُ والرخاءُ والسعادةُ والهناء إلى غير ذلك مما يؤكّدُ على أنه مصابٌ بمرضٍ (ميغالومانيا Megalomania) المعروفِ في مصطلحِ علمِ النفس بـ"جنون العظمةِ"، أُصيبَ الرجلُ بهذه الهلوسةِ في سنٍّ مبكّرٍ إذ كان يحيطُ به وبِسُكَّانِ المنطقةِ جوٌّ مضطربٌ أيامَ طفولتِهِ. هيّجَتْهُ التناقُضاتُ التي كانت تسودُ على الحياةِ الإجتماعيَّةِ في مدينةِ أرض الروم، وهي على تخومِ المنطقةِ الكرديَّةِ، فكانَ يشاهِدُ في هذه المنطقةِ مظاهرَ سياسيَّةً متضاربَةً منها ما يوافق مُيُولَهُ ويُلَبِّي عَوَاطِفَهُ، (كسياسةِ صهرِ الأكرادِ ومحاولةِ تتريكِهِمْ، وملاحقةِ رؤسائِهِمْ، وإنزالِ ضرباتٍ قاصمةٍ عليهم من سحقٍ وتشريدٍ وعدم الاعترافِ بوجودِهم...)، ومنها ما كان يُؤْلِمُ ضميرَهُ (كسياسةِ الضغوطِ على المعتقداتِ الدينيَّةِ، وملاحقةِ الصوفيَّةِ والمتديّنِينَ الْمُسْلُمَانِيّنَ.)

كانت الحكوماتُ التركيَّةُ تهتمُّ بحمايةِ الْمُدُنِ الآهِلَةِ بالأتراك (المجاورةِ للمنطقةِ الكرديَّةِ)، وتنفُخُ في نفوسِهم روحَ الاعتزازِ بالقوميَّةِ التركيَّةِ لكسبِهِم في سياسَتِها القمعِيَّةِ ضِدَّ الأكرادِ ولِتضييقِ الخناقِ عليهم.. في غضونِ ذلك بدأ الفكرُ الشيوعيُّ يَدُبُّ في أذهانِ شبابِ المنطقةِ؛ كانوا يرونَ الاستسلامِ لهذه العقيدة السياسِيَّةِ بغيةَ الخلاص من أسر الرأسمالِيَّةِ، وَكَرَدِّ فِعْلٍ ضِدَّ هيمنةِ الإتحادِ السوفيتي على الدولِ التركية (في آسيا الوسطى)، مثل: آذربيجان، وكازاخستان، وتُركمنستان، وأوزبكستان، وكيرجيزستان... كلُّ هذه التناقضاتُ والمشاكلُ السياسيَّةُ والاجتماعيةُ كانت تعصِفُ بسكانِ المنطقةِ أكثر من سُكَّانِ أي منطقةٍ أخرى على الساحة التركية. فكان فتح الله گولن متأثِّرًا بهذه البيئةِ المظلمةِ أكثر من أي شخصٍ آخر لِعِدَّةِ أسباب.

أوّلاً: لأنه كان يمتازُ بذكاءٍ وقادٍ، لا يُفَاجِؤُهُ أمرٌ إلاَّ ويتركُ في نفسِهِ أثرًا يُشغِلُهُ ويدعوه لتأملٍ عميقٍ. فبدأ يستغلُّ كلَّ وسيلةٍ بأسلوبه الخاصِّ لجلبِ مصلحةٍ دونَ أن يناله سوء. أخذ ينافس كُلَّ مَنْ يَلمِسُ فيهِ عزيمةً ماضيةً لا يَنْثَنِي، ويحسُدُ كُلَّ وجيهٍ أو ذي حظٍّ على ما رزقه الله من أخلاقٍ حسنةٍ، أو مالٍ وافرٍ، أو مكانةٍ رفيعةٍ، أو كلمةٍ نافذةٍ... امتلأ قلبُهُ بُغضًا وحَنَقًا على كلِّ مَنْ رأى فيه كَفَاءَةً يمتازُ بِهِ في فنٍّ من الفنونِ، ولم يشهدْ تَفَوُّقًا حظِيَ منه أحدٌ من زملائِهِ إلاَّ زاحمه وغالبهُ وترقَّبَ عثرةً تُعَرقِلُهُ، وتصدُّهُ عن سبيلِهِ، وتحولُ بينه وبين أملِه... وإذا تربَّصَ بأحدٍ يريدُ أن يعاجله بهزيمةٍ ثم عجزَ عن تحقيق مُؤَامَرَتِهِ ضدَّهُ، امتلأ حقدًا عليه وتمادَى في عداوَتِهِ له وسلَّطَ عليه بطانتَهُ يُربِكونه في أعمالِهِ ويُفسِدون

عليه مذاهِبَهُ. لم يعادي الرجلُ أحدًا من عباد الله (ولو كان الذي استهدفه شخصًا مجهولاً بسيطًا لا يعتدُّ به أحد)، أكنَّ له في صدرِهِ غيظًا لا مزيد عليه، وأطلق فيه لسانَهُ كُلَّمَا أتاحتْ له فرصةٌ لعلَّهُ يُنَفِّسُ بذلكَ غليلَهُ. يُبَرْهِنُ على هذه الطبيعة المتأصِّلَةِ فيه كلماتٌ يلوكُها وهو على مِنَصَّةِ الوعظِ يخاطبُ جماعةً؛ يعبِّرُ في محاضرتِهِ عن مدى كراهيتِهِ للشخصِ الذي يصلِّي وهو يلتفتُ يمينًا وشمالاً. إلاَّ أن كلماتِهِ مثيرةٌ للغاية لما فيها من المراوغةِ والمجازفةِ والمبالغة والتفحُّشِ ما يندى له الجبين! يقول فتح الله گولن عَبْرَ كلماتِهِ بالحرفِ الواحدِ:

"إنّ أولئك الذين يَسْتَرِقُونَ النظرَ إلى ما حولَهُمْ في صلاتِهِمْ، يُؤْلِمُونَنِي، لأنهم يغتصبون عِرْضَ اللهِ! يا لَيْتَهُمْ أخرجوا ذُكُورَهُمْ في غضونِ ذلك وَبَالُوا على رَأْسِي. أرجو سماحَكُمْ ، كانت هذه كلمةً بَشِعَةً! ولكنّي أَسْتَبْشِعُ حركاتِ أولئكَ المصلّين الذين يركعون وينتصبون بين يدي الله من غير مبالاتٍ، أسْتَبْشِعُهَا إلى حدٍّ تَبْقَى هذه الكلماتُ الْبَشِعَةُ التي أَتَلَفَّظُ بها إلى جانب ما يفعله أولئك، تَبْقَى أَقَلَّ بشاعةً إذا قُورِنَتْ بحركاتِهِم الجافِيَةِ في صلاتِهِمْ. أسْتَبْشِعُهَا إلى حدٍّ لو بالوا على رأسي ما عَدَدْتُ ذلك إهانةً بي. هذا مدى ألَمِي عندما أراهم يتهاونون بالصلاةِ. والذين يُقَلِّبونَ أبصارَهم في الصلاةِ يمينًا وشمالاً، والذين يقبضون أيديَهم على رُكْبَاتِهِمْ إنّهم بمعزلٍ عن الشعور بالوقوفِ بين يدي الله، فإنَّ حالَتَهم هذه لَيُؤْسِفُنِي إلى حدٍّ أقولُ لأحدِهِمْ: أتمنَّى لو طَعَنْتَ صدري بخنجرٍ، نعم سَتُصْبِحُ قاتلي عندئذٍ، لكنّني سوف أرفعُ يَدَيَّ إلى الله متضرّعًا فأقولُ له: أَيْ رَبِّي! إِنّي لن أَبْرَحَ قائمًا بين يديك إلاّ بعد أن تعفو عن عبدِكَ هذا!"[1]

بدأ فتح الله گولن دراستَهُ الإبتدائيَّةَ في مدرسة القريةِ، إلاَّ أنَّ نفسَهُ الحاقدَةَ على الغيرِ لم تسمح له أن يُكملَهَا، فاضطرّتْ أسرتُهُ أن تبعثَهُ إلى المدرسةِ القرآنيةِ التي كانت تواصلُ نشاطَهَا سرًّا، لأنَّ تدريسَ القرآنِ الكريمِ واللغةِ العربيَّةِ كانَ ممنوعًا في تلك المرحلةِ الزمنية. أكملَ گولن دراسَتَهُ القرآنيَّةَ بنجاحٍ وَعلى أتمِّ وجهٍ، ثمَّ شرعَ في دراسة العلوم الإسلامِيَّةِ من عقيدةٍ وفقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وسِيَرٍ وما إليها..

---

[1] وهذا نصّ كَلِمَاتِهِ باللغة التُّركيَّة التي ما زالت تُنْشَرُ عبر الشبكة العنكبوتية في تسجيلٍ مَرْئِيٍّ على موقع (اليوتوب youtube):

«Namaz kılarken sağa sola bakan, gözlerini sağa sola gezdiren insanlar, Rabbimin namusuna dokunmuş gibi bana dokunduruyorlar! Keşke o esnada tenasül uzuvlarını çıkarıp başıma işeseler; bağışlayın çok çirkin oldu. Fakat ben o işi o kadar çirkin buluyorum ki, o kadar münasebetsiz yatıp kalkmaları o kadar çirkin buluyorum ki şu söylediğim çirkin sözler onun yanında hafif kalır. Başıma işeseler okadar hakaret saymam. O kadar dokunuyor bana. Gözleri çevrede gezen insanlar, ellerini dizlerinin üzerine büküp koyan insanlar, Rabbin huzurunda durmuş olmanın şuurundan mahrum insanlar, o kadar rencide ediyor ki beni… Keşke bir hançer çıkarıp sineme saplasaydınız, katil olacaksınız! Ama ellerimi açıp yalvaracaktım, diyecektim ki: Allahım, bunu affetmeden senin huzuruna gelmiyorum! » http://www.youtube.com/watch?v=bga1K2eRQVI

كما درسَ اللغةَ العربيَّةَ مقتصِرًا على حفظِ قواعِدِ الصرفِ والنحوِ وفقًا لمناهج التدريسِ التقليدِيِّ الممتدِّ من العهدِ العثمانِيِّ، وهو منهجٌ عقيمٌ مقصورٌ على تحفيظِ القواعدِ فحسبُ. لا مكانَ للكتابةِ والحوارِ والمكالمةِ في هذا المنهج. لذا لم يسبق أن نجحَ أحدٌ من الأتراك الذين درسوا وفق هذا المنهج، لم يسبق أن نجحَ أحدٌ منهم في تأليفِ كتابٍ باللغةِ العربيةِ مع أنهم يَدَّعُونَ الإنتماءَ إلى الإسلامِ ويعتزّونَ به (وإن كانوا يتمايزون عن بقية المسلمين بالْمُسْلُمَانيَّة (Müslümanlık). أمَّا مَنْ أقدمَ منهم على تأليفِ كتابٍ بالعربيَّةِ فقد جاءتْ عباراتُهُ ركيكةً تسودُها عيوبٌ لغويةٌ وبلاغِيَّةٌ (كما في كتابات محمد الْبِرْكِوِيّ رحمه الله تعالى). وأمَّا الذين استعربوا من الأتراك والأكرادِ ونجحوا في أسلوبِ الكتابة والتأليفِ على مثالِ العلماءِ والمثقفين العرب، (كالشيخ زاهد الكوثري، والشيخ مصطفى صبري، ومحمد سعيد رمضان البوطي) فعددهم قليلٌ جدًّا، وبعضُهُم زنادقةٌ، كالشيخ الكوثرِيِّ.

ظلَّ فتح الله گولن إلى سنّ الكهولةِ مجهولَ الأثَرِ تائهًا في غمرٍ قد فشى فيه الجهلُ والتقليد والعمى، يتسابق بين صفوفِهِ المشعوذُونَ وشيوخُ الطريقةِ النقشبنديَّةِ والسحرةُ، وتسومُهُ الطغمةُ الحاكمةُ سوءَ العذابِ، ويتحرَّقُ الرجلُ لِيَجِدَ ثغرةً يَنْفُذُ منها إلى العيانِ ليستعرضَ أفانينَهُ، فَعَثَرَ في غضونِ ذلك على رسائلِ سعيدِ النورسِيِّ، فوجد فيها ما يحلُو له وينسجِمُ مع مزاجِهِ الدَّسَّاسِ وإشباعِ شَرَهِهِ من أشكالِ الدجلِ والتضليلِ والزندقةِ... عَلِقَتْ نفسُهُ بخربشاتِ النورسِيِّ، قَضَى فترةً من الزمن وهو يُفَتِّشُهَا ويقرؤُها ويحفظُ مقاطِعَ منها ويُمْعِنُ النظرَ في الْحِيَلِ التي لجأ إليها النورسِيُّ لأجلِ تمييع الحقائقِ وتسحيرِ العقولِ واستمالةِ القلوبِ... فلما انتهى گولن من دراسةِ هذهِ الرسائلِ وقد اسْتَوْعَبَهَا وتعرَّفَ على أسرارِ النورسِيِّ وحظِيَ قسطًا كبيرًا من فنونِ ألاعيبِهِ، وأتقنَ من صناعةِ الدَّجَلِ وتلبيسِ الحقِّ بالباطلِ على الناسِ وترسيخِ محبَّتِهِ في أعماقِ النفوسِ، أخذَ يقلِّدُ النورسِيَّ في أسلوبِه المراوغِ وسلوكياتِهِ الغريبة ومجازفاته...[2]

---

[2] سعيد النُّورْسِيُّ رجلٌ من سُكَّانِ المنطقةِ الكردِيَّةِ الواقعةِ جنوبَ شرقي الأراضي التركية (**1878–1960**م.). يُفتَرَضُ أنّه تركِيُّ الأصلِ. هاجرتْ أسرتُهُ من منطقةِ خُرَسَانَ الفارِسِيَّةِ إلى هذه الناحيةِ قبلَ قرونٍ وأقامت بها بين سكانها الأكرادِ فاسْتَكْرَدَتْ مع الزمان.

وُلِدَ النُّورْسِيُّ في قريةِ (نُورْسْ Nurs) الجبليَّةِ النائِيَةِ عن المناطقِ الحضرِيَّةِ بضواحِي مدينة بتليس (Bitlis). عضَّهُ فقرٌ مُدْقِعٌ في أيَّامِ طفولَتِهِ وذاقَ مرارةَ الحياةِ في شبابِهِ أثَّرَتْ في نشأتِهِ وتكوين شخصيَّتِهِ. كانت الدولةُ العثمانيةُ يومئِذٍ تعاني ألفَ نوعٍ من الأزماتِ السياسِيَّةِ والاجتماعِيَّةِ والإقتصادِيَّةِ وقد أحدقتْ بها الدولُ الأوربيَّةُ تستعِدُّ لِفَتكِها. كما كانت المنطقةُ الكردِيَّةُ تَغْلِي بأحداثِها غليانَ الماءِ على النار.

يعترف النُّورْسِيُّ أنه لم يحظَ بدراسةٍ علمية إلاَّ ثلاثةَ أشهرٍ تَلَقَّى دروسًا من الشيخ محمد الجلالِيِّ بقضاءِ (دوغو بايزيد Doğubeyazıt) التابعةِ لمدينةِ (آغري Ağrı). يُومِي بذلك إلى ذَكَائِهِ الْوَقَّادِ من جانبٍ كما يريد "أن الله صَبَّ على قلبِهِ (في هذه المدّةِ الوجيزة) ماشاءَ من أصنافِ العلومِ والمعارفِ ما لم يَرْزُقْهَا أحدًا من عبادِهِ في العلمين!"، وهذا لا أساسَ له من الصِّحَّةِ. بل يَكْتُمُ أنَّه سافَرَ إلى مدينةِ أسعردَ (Siirt) التي سُكَّانُهَا عربٌ، فأقامَ هناكَ قرابةَ عامين والتحقَ بالمدرسة الْخَلِيلِيَّةِ التابِعةِ للعلاَّمَةِ الْمُلاَّ حامِدِ العُمَرِيِّ، ونالَ حظًّا من اللغةَ العربِيَّةَ وإن لم يُتْقِنْهَا حقَّ الإتقان. لكنه تعرّض هناكَ لأشكالٍ من الإهانةِ والتهكُّمِ مِنْ قِبَلِ الطَّلَبَةِ المتطرِّفين الذين أفْسَدَتْهُم العقيدةُ النقشبنديَّةُ. ذلك أنَّ النورسِيَّ كان ينصحُهُم ويُنَبِّهُهُمْ على خطورةِ ما يعتقِدونَ من الأباطيلِ التي تُفضِي بهم إلى الإشراكِ بالله،

وَيُحَذِّرُهُمْ مِمَّا يعتادونَ من البِدَعِ وطقوسِ مجوسِ الهندِ، فينهالونَ عليه بالضربِ والشتائمِ. فلم يسعهُ الْمُقامُ هناكَ. فغادرها. لكنَّهُ ظَلَّ يكتُمُ أسرارَ هذه المرحلةِ من حياتِهِ، فلم يَكْشِفْهَا لأحدٍ غيرِ القدرِ الذي قصَّهَا على صديقه الشيخ سعد الله أفندي (مفتي مدينة آغري).

خرجَ النُّورْسِيُّ من مدينةِ أسعرد (Siirt) ملومًا مُهانًا، فانتقلَ إلى مدينة ماردين (Mardin) التي سُكَّانُهَا عربٌ أيضًا، يريد أن يستفيدَ من بيئتِها لتطوير مستواه في العربية وعمرُهُ يومئذٍ تشعةَ عشرَ عامًا. إلاَّ أنَّ طبيعتَهُ الشريرةَ وتصرفاتِهِ الجافيةَ الغليظةَ أَوْقَعَتْهُ في متاهاتِ الخلافِ والجدالِ مع الأساتذة والطلبةِ فأدَّى ذلك إلى شَغَبٍ كاد أن يتفاقم. فأمر الوالي بطردِهِ من مدينة ماردين، فحُمِلَ مغلولاً إلى مدينة بتليس. إلاَّ أنَّ والي بتليس (عُمر باشا) رحَّب به وأقامه في منزله عامين، تَلَقَّى في تلك الفترةِ دروسًا من طَلَبَةِ الشيخ أمين أفندي النُّوَيْنِي، فانخرطَ هناكَ في مدرسة الشيخ محمّد الكُفْرَوِيِّ ودرسَ مدّةً قصيرةً إلاَّ أنَّ هذه البيئةَ لم تلائِمْهُ. لأنَّهَا كانتْ أيضًا تحتَ سيطرةِ أسرةٍ نقشبنديَّةٍ حيث تُقامُ فيها طقوسٌ هندوسيَّةٌ، فغادرها وسافر إلى مدينة فان (Van)، يطلُبُ مَنْ يُعَلِّمَهُ اللغةَ التركيَّةَ إشتياقًا إلى أصلِهِ، فاستعانَ بوالي المدينةِ (طاهر باشا)، ولَقِيَ منه ترحيبًا، فأمر أحدَ المعلّمِينَ بتدريسِهِ، فلم يلبث النُّورْسِيُّ طويلاً حتَّى تعلَّمَ اللغةَ التركيَّةَ (اللهجةَ العثمانيَّةَ) في مدةٍ قصيرةٍ جدًّا.

كان سعيد النُّورْسِيُّ مفوَّهًا، جريئًا، نازعًا للجدلِ والمغالبةِ، يتمنطقُ ويتفلسفُ ويتشدَّق بملء فيه تفاصحًا، يتطاول على العلماءِ، ولا يتهيَّبُ ظِلَّ أحدٍ من الأمراءِ. من أبرز خصالِهِ أنه كان يتميَّزُ على أهل العلم بأسلوبٍ خاصٍّ ليتركهم في حيرةٍ وليغتبطوه. ذلك أنه في الفترة التي أقام بجوارِ طاهر باشا (والي مدينة فان Van)، قضى مُعْظَمَ وقتِهِ في مكتبةِ الوالي الضخمةِ المكتظَّةِ بأنواعِ الكُتُبِ في أشتاتِ العلومِ الحديثةِ من تاريخٍ وجغرافيا وفلكٍ ورياضيَّاتٍ وفزياءٍ وكيمياءٍ... فاستفاد بقدر كبيرٍ من الثقافة إلى جانب ما كان قد درس من أدبٍ ومنطقٍ وعلومٍ إسلاميةٍ استقوى بها، وازداد ثقةً بنفسِهِ، وتميَّزَ بذلك عن رجال الدين الذين يجهلون هذه العلومَ. لذا، تألَّقَ نجمُهُ واشتهر، فأُعْجِبَ به كلُّ من رآه واستمع إليه؛

لكنه مع ما اتسم به من الذكاء والبداهةِ وسعة الإطلاع على عكسِ معاصريه من الملالي والخواجواتِ كان ضيِّقَ الصدرِ طائشًا متهوّرًا في تعامُلِهِ حتى مع أقرب الناسِ إليه. لذالك إذا تناولهُ باحثٌ محترفٌ لِيَطَّلِعَ على كُنْهِهِ من خلالِ ما كُتِبَ حوله من الوثائقِ، مِمَّا قيل فيه، ونُقِلَ عنه، سواء الذي جاءَ على لسانِ محبِّيهِ ومُبْغِضِيه، سوفَ تنعكسُ أمامَ عينيهِ صورةُ إنسانٍ خبيثِ الروحِ؛ فَتَّانٍ، حسودٍ، عنيفٍ، مُولَعٍ بالتزوير، مُراوِغٍ، غوغائيٍّ، يحبُّ الجدلَ والنقاشَ، مكابرٍ لا يتواضعُ لأحدٍ من أهلِ العلمِ، ولا يُسَلِّمُ الحقَّ إذا أُفْحِمَ، بل يزدادُ غضبًا على من يُبْطِلُ حُجَّتَهُ بالدليل القاطع.

نعم كان سعيدُ النُّورْسِيُّ عبوسًا في كلِّ حياته، لم يشاهدْ أحدٌ مِمَّنْ رآهُ ابتسامةً على وجهِهِ. كان كارهًا لكلِّ صاحبِ علمٍ، مُحْتَقِرًا أيَّ إنسانٍ يرى فيه المرونَةَ والوقارَ. لأنه كان قَلِقًا متخوِّفًا من أنْ يتصدَّى أحدٌ لِنُصحِهِ وإرشادِهِ، أو لتصحيح خطإٍ من أخطائِهِ. ولأنَّهُ كانَ يرى نفسهُ قِمَّةً في العلمِ لا يبلُغُ شأوهُ أحدٌ من عبادِ اللهِ. يبرهن على هذه الحقيقة ما جاءَ في اعترافاته.

يقصُّ النُّورْسِيُّ عن مغامراته أيَّامَ إقامته بـ(خَان شَكَرْجِي) بجوارِ جامع السلطان محمد الفاتح في إسطنبول وقد أخذَ برأسِهِ جنونُ العظمةِ، فعلَّقَ على بابِ حُجرتِهِ لوحةً عليها إعلانٌ (باللغة التُّرْكِيَّة) وهذا نصُّهُ مُعَرَّبًا: "هنا يُعالَجُ كُلُّ مُشكِلٍ ولكن لا يُوَجَّهُ سؤالٌ إلى أَحَدٍ.

إذا دلَّتْ هذه الكلماتُ على شيءٍ فإنَّمَا تدلُّ على مدى اغترار النورسِيِّ بنفسِهِ. إذ يُعلِنُ أنه محيطٌ بكل شيءٍ علمًا، ولا يحتاج إلى سؤالِ غيرِهِ على الإطلاق! فَقَبَضَتْ عليه السلطاتُ العثمانيّةُ عام **1907**م. وأَحَالَتْهُ إلى مستشفَى ألأمراضِ العقليَّةِ والنفسيَّةِ لعلَّ ذلك بسببِ مثل هذه التصرفاتِ الغريبَةِ.

وهذه مَآلُ كلماته بالعربية، يقول: "أهلُ السياسَةِ سَاقُونِي إلى دارِ المجانين قبل أربعين عامًا، بِإِلْصَاقِهِمْ بِي: (الجنونَ المؤقَّتَ)، فقلتُ لهم: إنَّ ما تَرَوْنَهُ عقلانيًّا، فإنِّي أرى أكثرَها غيرَ مطابقٍ للعقلِ وأتبرَّأُ منه." (المصدر: الشُّعَاعَات، الشُّعَاعُ الثالث عشر). ثم يستطردُ النورسِيُّ فيقول: "وفي النهايةِ سُحِبْتُ إلى دارِ المجانينِ بأمرٍ من المغفورِ له السلطان عبد الحميد نتيجةً وشايةٍ مُنَافِسِيَّ..." (المصدر: الشُّعَاعَات، الشُّعَاعُ الرابع عشر).

من المقولات الشهيرة للنُّورْسِيِّ: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة". لعلَّهُ يُعَبِّرُ بذلك عن نَدَمِهِ على ما تَلَبَّسَ به من مغامراتٍ سياسيَّةٍ خطيرة من أهمها أنه اشترك في محاولةِ الإطاحةِ بالسلطان عبد الحميد الثاني، تعاونَ في هذه المحاولةِ مع حزبِ الاتِّحاد والترقِّي. سافر إلى سالونيك وَالْتَقَى بالنائب اليهودِيِّ (عمانويل قراصو) للمشورة. المصدر: الموسوعة الأكترونية: ويكيبيديا http://tr.wikipedia.org/wiki/Said_Nurs%C3%AE

اعتُقِلَ في أعقابِ ثورة **31** مارس **1323**هـ الموافق: **13** أبريل **1909**م. مع جماعةٍ من أعضاءِ حزبِ الاتِّحادِ المحمّديِّ. ستَّةَ عشرَ منهم أُعْدِموا، أمَّا سعيدُ النورسِي فصدر الحكمُ ببرائتِهِ!

سافرَ إلى دِمَشْقَ وألقَى خطبةً على منبر الجامع الأمويّ سنة **1911**م. عادَ إلى المنطقة الكردية قُبَيْلَ الحربِ العالميَّةِ الأولى. جمع حوله ثلَّةً من الناسِ لمنافسةِ شيوخِ الطريقة النقشبنديَّةِ الذين خرجَ كلٌّ منهم على رأسِ جمهورٍ من مريديه لمقاومةِ قُوَّاتِ الإحتلالِ الروسِيّ، فأبى أنْ يدخلَ تحتَ رايةِ أحدِهِمْ لِمَا في نفسِهِ من الكراهيَّةِ لهم. وقع في أسرِ القُوَّاتِ الروسِيَّةِ عام **1915**م. فأحيلَ إلى معسكر الأسرى في كوستروما Kostroma الواقعةِ على مسافةِ **320** كم. شَمَالَ شرقِي مدينةِ موسكو. مكثَ هناكَ عامين وأربعةَ أشهر. ثم أُطْلِقَ سراحُهُ وفقًا لشروطِ معاهدة Brest Litovsk التي تم اعتمادُها بين روسيا وألمانيا، والإمبراطورية النمساوية–المجرية والدولة العثمانية في **03**/مارس/**1918**م. أما روايةُ بعضِ المتحدِّثِين عن هذه الواقعةِ بأنه خرجَ هاربًا يوم **24** يونيو عام **1918**م. حتى وصلَ إلى إسطنبوا بعد أنْ مرَّ على وَارْسُو، وفِينَّا وصُوفْيَا، فلا أساسَ له من الصحة.

انضمَّ إلى الهيئةِ العلميَّةِ بِدَارِ الْحِكْمَةِ الإسلاميَّةِ يوم **18** أغسطس **1918**م. واستمرَّت عضويَّتُهُ فيها إلى سنة **1922**م. ثم غادر إسطنبول (وهي محتلَّةٌ) قاصِدًا أنقره. استقبله مصطفى كمال في مجلسِ الشعبِ يوم **09** نوفمبر **1922**م. ألقى كلمةً في مجلسِ الشعبِ، انتقدَ فها النُّوَّابَ تَهَاوُنَهُمْ بالصلواتِ المفروضةِ فأثارَ بذلك غضبَ مصطفى كمال وأعوانِهِ. أدَّى ذلك إلى نشوبِ الخلافِ بينهما وانتهى بالفِرَاقِ والتنافُرِ.

عادَ النورسِيُّ إلى المنطقةِ الكرديَّةِ فلم يمكثْ طويلاً حتى اندلعتْ ثورةُ الشيخ سعيدِ البَالَوِيِّ. كان النورسيُّ مِمَّن يُحْسَبُ له حسابٌ، فنُسِبَتْ إليه التهمةُ بأنَّهُ كان متلبِّسًا بالعصيانِ، فحُكِمَ عليه بالإقامةِ الجبريَّةِ في مدينةِ بوردور Burdur. استمرَّت معاناتُهُ بعد ذلك بين سجنٍ وتغريبٍ طيلةَ **25** عامًا إلى أنْ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ في مدينة (أورفا) يوم **23** مارس **1960**م.

كان سعيدٌ شخصًا مغامرًا لكنَّهُ ناجحًا في تحقيقِ أهدافِهِ رغم تلك الأحداثِ الخطيرة التي تقلَّب بين أمواجها. فاقَ أقرانَهُ في جذبِ القلوبِ، وكان له أسلوبٌ خاصٌّ في التدليس وَغسلِ الدماغِ بِطُرقٍ عديدةٍ مِنْ سحرِهِ وتلوُّنِهِ وأفاعيله... وكان مع ذلك حَذِرًا محتاطًا. تحرَّشَ به رجلٌ من رؤوسِ النقشبنديِّين يُدعى عبد الحكيم الأرواسي، غير أنَّ النورسِيَّ تَجَنَّبَ الإصطدامَ بهذهِ الطائفةِ، فلم يتطاولْ عليهم تَوَقِّيًا من شرورهم، لكنَّهُ نبَّهَ على خطرِهِمْ بكلمةٍ وجيزةٍ وهي قَوْلَتُهُ:

"هذا العصر ليس عصرَ الطريقَةِ، وإنَّمَا هو زمانُ إنقاذِ الإيمانِ. كثيرٌ دخلوا الْجَنَّةَ دون انتسابٍ إلى الطريقة، لكنَّهُ لم يدخل الْجَنَّةَ أحدٌ عديمُ الإيمانِ.

استطاعَ النورسِيُّ في فترةٍ وجيزةٍ أن ينالَ شهرةً غيرَ مسبوقةٍ. طارَ صيتُهُ في الآفاقِ، وأصبحَ يشارُ إليه بالبنان، وأُطلِقَ عليه عنوانُ "بديع الزمان!"، والحال هذا، يستحيلُ يومئذٍ على مستوَى المجتمع أن يَخْطُرَ على بالِ أحدٍ هذه الكلماتُ المزخرفةُ بسببِ الجهلِ المطبق، وَالْعُجْمَةِ السائدةِ على القرائحِ باختفاءِ اللغة العربية، وانتشارِ التقليدِ الأعمى... مِمَّا يدلُّ على أنَّ النورسِيَّ هو الذي أوعز إلى بطانتِهِ أن يذكروه بهذه الصفةِ ويفخِّموه ويُعَظِّمُوا شأنَهُ... كما يُبرهن أيضًا على مهارتِهِ في كسبِ الشهرةِ بالسيطرةِ على عقولٍ ساذِجةٍ خاضعةٍ لِسِحْرِهِ وَألَاعِيبِهِ التي استخدمَ فيها أسلوبًا معقَّدًا تتسلسلُ فيه تركيباتٌ مُصَاغةٌ من ألفاظٍ عربيَّةٍ قَلَّ مَنْ يَفْهَمُهَا من القُرَّاءِ الأتراك! تحذلق النورسِيُّ باسْتِعْمَالِ الأَلْفَاظِ الْعَوِيصَةِ وَمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِ، واسْتعرَضَ الْبَلاَغَةِ، وتفنَّن في إظهارِ الْحِذْقِ وَالْمَهَارَةِ وعُمْقِ النظرِ وسِعَةِ الإِطْلاَعِ وَغزارةِ الْمَعْرِفَةِ في كلِّ عباراته.

لقد كان النورسِيُّ جريئًا في الغايةِ، وَلِعًا بالتعمية وإضمار المعاني في عباراته لتسحير العقول، طامِعًا في السيطرةِ على النفوسِ، جامحًا راكبًا هواهُ في المُحاجَّةِ والجدالِ، نازعًا إلى العنفِ ومغالبة الخصومِ... تشهد كلماتُ مُتَرْجِمِهِ على هذه الطبيعةِ الراسخةِ في كيانه، يقول:

"أهلُ القرية ومعهم الطلبةُ كانوا قد خرجوا إلى هضبةِ (شيخان) للاستراحةِ وَشَمِّ الهواءِ في موسم الصيف. هناكَ شَاجَرَ (سعيدٌ) أخاه عبدَ اللهِ، فنهره أستاذُ مَدْرَسَةِ (تَا غ)، محمد أمين أفندي قائلاً:"

"– لماذا تعصي أخاكَ!"

"فَرَدَّ عليه (سعيدٌ)؛ – باعتبارِ إقامتِهِ في المدرسةِ الشهيرةِ التي يَؤُولُ أمرُهَا إلى الشيخ عبد الرحمن – رَدَّ على أساتاذِهِ قائلاً:" – سيِّدِي، إنَّكَ أنت أيضًا تلميذٌ مِثْلِي في هذه التَّكِيَّةِ، إِذَنْ ليس لك أن تحتلَّ منصبَ مُدرِّسٍ هُنَا!"

لم يَقِفْ سعيدٌ عند هذا الحدِّ في تَصَرُّفَاتِهِ العنيفةِ، بل تجاوزه بالتهديدِ واستعمالِ السلاحِ. ورد في ترجمته:

"... إنه وصل إلى (غَيْدَا) حيث يُقيمُ بها المشائخُ العظامُ، فما لبث حتى قاتل هناك صاحبَهُ الْمُلاَّ محمّد أفندي. فلمَّا شَهَرَ الْمُلاَّ محمد الخنجرَ عليه، أسرع إلى فأسٍ وقع عليه بصرُهُ. أسفر العراكُ عن إصابة تلميذٍ بجراحٍ، فترك الدراسةَ وعادَ إلى مقرِّ أبيه".

يجدرُ الوقوفُ هنا على شخصيَّةِ سعيد النورسِيِّ بهذه المناسبةِ ولو في حدودِ كلماتٍ وجيزةٍ؛ لأنَّ النورسِيَّ أشغلَ عقولَ ملايين الناسِ في تركيا وخارجِها، واستوقف اهتمامَ عددٍ من العلماءِ والباحثين والمحلِّلِينَ؛ جرَتْ أقلامُهُمْ في وصفِهِ، ومراحلِ حياتِهِ، ومغامراتِهِ السياسِيَّةِ، وترجمةِ رسائِلِهِ، وتحليلِ شخصِيَّتِهِ، وأسلوبِ تناولِهِ لآياتِ القرآنِ وتفسيراتِهِ لهَا... كلٌّ من أولئك المهتمِّين به قد أعربَ عن وجهةِ نظَرِهِ إلى هذه الشخصِيَّةِ الغريبةِ وآثارِها على المجتمع التركِيِّ، وقد اختلفوا فيه اختلافًا غيرَ قليل؛ منهم مَنْ بالغ في إطرائه حتى زعم "أن رسائله تُغني عن القرآنِ الكريم!"، ومنهم مَنْ اعتقد فيه البركة والكرامة وادَّعَى أنه المهدِيُّ المنتظَرُ، ومنهم مَنْ جعلَ منه صنمًا يُعبَدُ إلى غيرِ ذلك من ضروبِ الشطط والغلوِّ والهذيان... إلاَّ أنَّ أيَّ ذي علمٍ بعقيدة أهل السنة والجماعةِ، وخبيرٍ بتاريخ المجتمع التركِيِّ وأطْيَافِهِ العرقِيَّةِ ومَيِّزاتِهِ الدينِيَّةِ والاجتماعِيَّةِ، لو يطَّلِعُ على حقيقةِ سعيد النورسِيِّ بعد أن يستوعِبَ كلَّ تلك الآراءِ المتضافرةِ حوله، فلن يمتنعَ من الاعتقادِ: بأنَّ هذا الرجلَ كان أشدَّ من خالد البغدادِيِّ خطَرًا على الإسلامِ والمسلمين، وأنَّ زندقتَهُ باتتْ تُهَدِّدُ العقيدةَ الحنيفةَ بجانبِ بقية التياراتِ الهدّامة في أيامِنا، وتأتي على رأس هذه التياراتِ الطريقةُ النقشبندِيةُ.

نعم، يكادُ سعيد النورسِيُّ يفوقُ على جميعِ أسلافِهِ من الزنادقةِ خطرًا على الأمّةِ لأسبابٍ تتلخَّصُ في أمرين: أوّلُهُمَا: أنَّ النورسِيَّ تناولَ آياتِ القرآنِ فتوغَّلَ في تفسيرِها باللغةِ التركةِ، فأثارَ بذلِكَ هلوسَةَ تتريكِ القرآنِ في نفوسِ العُنْصُرِيّين الأتراكِ الذين كانوا طالَما يتربّصونَ بالإسلامِ ليقطعوا علاقَتَهُ من العربيةِ، فوجدوا ضالَّتَهم في تفسيرِهِ وازدادوا بذلك حَنَقًا على العربِ. والأمرُ الثاني: أنه تبنَّى أسلوبًا معقَّدًا في تفسير الآياتِ فأشبَعَ صِيَاغَتَهُ بمصطلحاتٍ وتعبيراتٍ غامضةٍ حتى يُقالَ: "إنه قِمَّةٌ في العلمِ بكتابِ اللهِ، أثبتَ بقدرته العلمية الفائقة لأوَّلِ مرَّةٍ: أن الله قد خاطب عباده باللغة التركية أيضًا بجانب اللغة العربية، ولكنَّ فَهْمَ رَسَائِلِهِ مقصورٌ على نُخْبَةٍ من تلاميذه الأتراكِ بخاصةٍ دون غيرهم!" فاكتسبَ النورسِيُّ بهذه المغامرةِ عظمةً في النفوسِ، فآمنت به جماعةٌ تَفَانَوْا فيه، وقاموا بالدعاية له، وبذلوا

طموحاتُ النورسِيِّ اللاَّمحدودةُ سَحَبَتْهُ منذ عنفوان شبابه إلى أتونِ الفِتَنِ السياسيَّةِ. أقحمَ نفسَهُ في غمارِ أحداثٍ خطيرةٍ، وتصدَّى لكلِّ مسألةٍ بآرَائِهِ المتميِّزَةَ المخالفةِ للقياس في الأغلب، كان يستعرضُ بذلك علوَّ هِمَّتِهِ، ويتبجَّحُ ويراوغُ في كلامِهِ ويتشدَّق بأسلوبِهِ المعقَّدِ لِيُعْجِبَ به الناسُ وينبهروا بذكائِهِ الفائق!...

كانت حياتُهُ كلُّها مغامرةً ورِهَانًا وعراكًا وسِبَاقًا وَمُنافسةً ووشايةً وخيانةً... لأنَّه كان مجبولاً على الإعتراضِ والرفضِ والبحث عن العيوب في كل شيءٍ، عَالَمُهُ الدَّاخِلِيُّ الغامضُ لم يعرف الهدوءَ، لم يَشْفِ غليلَهُ من النقاشِ والجدالِ طوالَ عمره. لعلَّ هذه السجيَّةَ هي التي ثَبَّطَتْهُ عن الزَّوَاجِ، كما أنبتتْ في قلبِهِ الكراهِيَّةَ ضِدَّ الشيوخِ النقشبندِيّين الذين احتقروه واستهانوا به. وإلاَّ فإنَّهُ كان يلتقي معهم في النُّزوعِ إلى البِدعِ والشعوذةِ والزندقة.

ما كان سعيدٌ متواضعًا لحظةً في حياتِهِ، تصدَّى لِمَهامٍّ لم يكن من أهلِها. حاولَ دائمًا أن يفرِضَ نفسَهُ على كلِّ مَنْ جَمَعَ القدرُ بينهما. لأنَّه كان يَرَى لِنفسِهِ فضلاً على كلِّ ذِي علمٍ، ومَنْزِلةً فوقَ كلِّ ذي جاهٍ. اتَّخَذَ موقفًا مُسْتَعْلِيًا من كلِّ مَن خاطَبَهُ وكان صارمًا في ذلِكَ شديدَ الخصومةِ والجدالِ. فَهَابَتْهُ النفوسُ إمَّا اتِّقاءَ شَرِّهِ، وإمَّا انبهارًا واغتباطًا بمهارتِهِ في إذلالِ المخاطَبِ.

قصارى جهودهم في نشرِ رسائلِه، والدعوةِ لعقيدتِه على مثالِ المبشّرين النصارى، وحاولوا لِيُعَرّبُوهَا فَيُنَافِسُوا بذلك جميعَ علماءِ التفسيرِ الذين فسروا كتاب الله باللغة العربية، لكنَّ أتباع النورسِيّ عجزوا عن تحقيق هذه المهمةِ، لأن الأتراك يكاد يستحيل عليهم إتقانُ اللغةِ العربيةِ. فوجدوا شخصًا من تركمان العراق (يُدعى: إحسان قاسم الصالحي) قامَ بترجمةِ جميع رسائلِه إلى العربية.

وخلاصةً لهذه الحقائقِ: فإنَّه ما من شَكٍّ في أنَّ سعيدًا النورسِيَّ كان زنديقًا خطِرًا تلاعب بكتابِ اللهِ، فأضلَّ كثيرًا من الناسِ لمحضِ كسب الشهرةِ والسمعةِ، بله ما أفشى مما في ضميره من فسادِ العقيدة عبر كتابه Sikke-i Tasdik-i Gaybî، وقع أتباعُهُ في أزمةٍ شديدةٍ بعد تورُّطِهِمْ في الجناية على الإسلامِ بطبعِ هذا الكتابِ، فانهالَ عليهم بعضُ رجال العلم من أهل التوحيد بِرُدُودِهِمْ الشديدةِ، وَدَحْضِهِم لِحِجَجِهِ الْوَاهِيَّةِ. فلما افتضح النورسِيُّ وأتباعُهُ بعد هذه الردودِ امتنعوا من إعادةِ طبعِهِ حتى لا تشتدَّ عليهم الأزمة من جديد.

لقد جمع النورسيُّ في رسائِلِهِ ما يصعب حصرُهُ من غثٍّ وسمين، فتوسَّعَ في تزويراتِهِ ما شاءَ أن يتوسَّعَ بدجلياتٍ وأكاذِيبَ ومبالغاتٍ ومغالطاتٍ ومفترياتٍ على الدين الحنيفِ، وقد تناولها مؤخّرًا أحد الباحثين يُدعى مصطفى گوك Mustafa Gök ، فدرسها وكشف عن مساويها بأسلوبٍ علمِيٍّ دقيقٍ، ونَشَرَ عَمَلَهُ باللغة التركية تحت عنوان:Risâle-i Nur Külliyatına Eleştirel bir Yaklaşım ، وهو جدير بالتعريبِ لو تصدّى له مترجمٌ خبيرٌ باللغتَيْنِ التركيةِ والعربيةِ.

تعرّفَ فتح الله گولن على مختلف وجوه الحِيَلِ وأساليب التضليلِ بعد دراستِهِ لهذه الرسائِلِ، واطِّلاعِهِ على شخصيةِ سعيدِ النورسِيّ، فبدأ يُقَلّدُهُ ويحذُو حَذْوَهُ أولاً في سلوكياته (ليس ذلك من منطلقِ المحبَّةِ له، بل كان يكرهُهُ! ولكنَّهُ تشابهَ بالنورسِيَّ استغلالاً واحتكارًا)؛ فلم يُعْفِ لحيتهُ ولم يتزوّج، اتّباعًا للنورسِيّ، وتبنَّى أسلوبَهُ الغامضَ في محاضراتِهِ وكتاباتِهِ لِيُقالَ "إنه قمةٌ في البلاغةِ، ورجلُ عظائمِ الأمورِ، وبطلُ مهامّ الخطوب!" حتى إذا وجد ضالَّتَهُ في مبادرةٍ وسوسها إليه الشيطانُ فغشيتهُ المسرَّةُ أيما مسرةٍ، فبدأ ينسجُ خيوطَهُ لتضليلِ ملايين الناسِ من المجتمع التركِيّ وسحبِهِمْ ورائَهُ بأسالِيبَ ماكرةٍ تحتارُ لها العقول.

"صَمَّمَ فتح الله گولن أن يُخَاطِرَ بنفسِهِ فَيَقَعَ في قبضةِ الشرطةِ بِتُهْمَةِ "تطاوُلِهِ على النظامِ واحتجاجِهِ ضِدَّ الاضطهاد!". فقامَ بإعدادِ كميّاتٍ من الْمُلَصَّقاتِ، عليها صورتُهُ من الجبهةِ الأماميّةِ وتحتَها كلمةُ (مطلوب!). أمرَ عددًا من تلاميذِهِ أن يقوموا بِإِلْصَاقِ هذه الصُّوَرِ في ظلامِ الليلِ على الواجهاتِ عَبْرَ

شوارِعِ مدينة إزمير التي كان كولن يقيم بها في تلك الفترة. فلم يَلْبَثْ حتى ألقتِ الشُّرْطَةُ القبضَ عليهِ واعتُقِلَ عدّةَ أشهر.

هكذا تَعَرَّفَ عليه المجتمعُ لأوّلِ مرّةٍ وشاعَ خَبَرُهُ: "أنَّ السلطاتِ الأمنيّةَ اعتقلتْ عَالِمًا من علماء الإسلامِ (!) يدافِعُ عن الحرّيّةِ الدينيّة!" ثم أُطلِقَ سراحُهُ. فحقَّقَ الرجلُ بذلك أوّلَ هدفٍ من أهدافِهِ (التي سوفَ تعرُجُ به إلى مقامٍ رفيع) طالما كان يحلمه. نعم، حقّقَ أولَ هدفِهِ بنجاحٍ، لأنّهُ استطاعَ أن يخرُجَ من عزلتِهِ إلى العيانِ ويُشغِلَ الرأيَ العامَّ فيتحدَّثَ عنه آلافُ الناسِ بعدَ أن كانَ رجلاً عادِيًّا من أوساطِ العامّة.

لم يلبث طويلاً حتى نالَ شهرةً بالغةَ الانتشارِ، فاحتكرها بلباقةٍ ودهاءٍ جذبتْ إليه جمهورًا من نُخْبَةِ المجتمعِ بينهم أثرياءُ، وأكاديميون، ورجالُ العملِ، وأطبّاءُ، ومهندسون، وصحافيّون، وَكُتَّابٌ مشهورون، ورجالُ السياسة... فاستحوذَ على عقولِهم، ونفذ إلى أعماقِ نفوسِهم وبدأ يُجَنِّدُهُمْ في كثيرٍ من مجالاتِ العمل، والتَّحَالُفَاتِ التجاريّةِ، وتأسيسِ شركاتٍ عِمْلاَقَةٍ، ومَصَانِعَ، وبنوكٍ، وإصدارِ صُحُفٍ ومجلاَّتٍ ذاتِ تداولٍ عالية... أشارَ على هؤلاءِ وحثَّهم في بَدْإِ الأمرِ على تأسيسِ مدارسَ لِتَنْشِأَةِ جيلٍ يستعينون به في المستقبلِ القريبِ. فامتثلوا لأمرهِ بكلّ انقيادٍ وفتحوا عددًا كبيرًا من المدارس والمعاهدِ الخاصّةِ والجامعاتِ داخلَ تركيا، كما فتحوا مدارسَ في مُعْظَمِ عواصمِ العَالَمِ. هكذا استطاعَ فتح الله كولن أن يَحْصُلَ على ثقةِ المجتمعِ والرأيِ العامّ العالَمِيّ ودعمِ الحكوماتِ لبناءِ جيلٍ يُحَقّقُ أهدافَهُ التي أسرَّها طوالَ أربعين عامًا.

يمتازُ فتح الله كولن بعبقريةٍ، وذكاءٍ شيطانِيّ منقطعِ النظير، يكادُ الرجلُ يكونُ فريدًا في الْخُبْثِ واللُّؤْمِ والدهاءِ وتحريفِ الحقائقِ وتمييعِها، والقولِ بأنماطٍ من الكذِبِ والزورِ والبهتان، والتلاعُبِ بنصوصِ الكتابِ والسنةِ، وإباحةِ الحرامِ وتحريمِ الحلالِ... لا نظيرَ له في التشدُّقِ والتنطُّعِ والمراوغةِ والمجازفةِ والمبالغةِ والمغالطةِ والتعميةِ بصِيَغٍ دَجَلِيَّةٍ وتَخَزْلُقٍ يصابُ الْمُسْتَمِعُ إليه بذهولٍ وحيرةٍ في لَحَظَاتٍ قليلةٍ. كما لا مثيلَ لهذا الرجلِ في مُنَاصَبَتِهِ العداوةَ إذا قصدَ شخصًا بسوءٍ، يستطيع أنْ يُهَيّجَ عليه غضبَ الرأيِ العامّ وَيُحَرّضَ عليهِ الأوباشَ، ثم يعودَ فيحمِيَهُ من أنْ يُدَكَّ تحت الإقدامِ. هكذا يجعل منه عبدًا ذليلاً، يركعُ المسكينُ بين يديه ليتقبَّلَ منه أداءَ شُكْرِهِ لقاءَ ما أنقذَهُ من السحقِ وصانَهُ من نِقمةِ العامَّةِ وسُخْطِها!

إنه – لا شكَّ– قمَّةٌ في النفاقِ والتلوُّنِ؛ سرعان ما يستحوذُ على النفوسِ والضمائرِ بما يمتازُ به من البراعةِ في صياغةِ الكلامِ وإفادة المرامِ وأساليبِ الخطابِ وفنونِ الإقناعِ والإفحامِ. استطاعَ أن يَكسِبَ إعجابَ أيِّ إنسانٍ استمعَ إليه ولو لحظةً؛ عامِّيًا كانَ أو مثقَّفًا، تاجِرًا كانَ أو موظَّفًا، سياسِيًّا كانَ أو عسكرِيًّا لم يغادرِ الْمُسْتَمِعُ إليهِ مكانَهُ إلاَّ وقد انبهرَ به وطاشَ عقلُهُ، وأصابه من سِحْرِهِ... وقد يَغترُّ به مَنْ يقعُ في حبالِ أحدِ المبشرين من جواسيسِهِ (ولو كان وَهَّابِيًّا مُتَحَجِّرَ القلبِ)، كرجلٍ يُدعَى سلمان عودة.[3] استطاعَ فتح الله گولن بهذه الميزَّةِ أن يمتلِكَ إرادَةَ جمهورٍ يفوقُ عددُهم على عشرات الملايينِ. لذلك لمّا أيقنَ أنَّ هذا الجمهورَ قد أصبحَ رهنَ إشارتِهِ، لم يتردَّدْ في الجلوسِ على طاولة التفاوُضِ مع أيِّ زعيمٍ سياسِيٍّ وعسكرِيٍّ في تركيا. هكذا تألّقَ نَجْمُهُ منذ عشراتِ سنين. لكنه تظاهرَ دائِمًا في كلِّ لقاءٍ مع أيِّ رئيسٍ لمجلسِ الوزراءِ، تَظَاهَرَ أنّهُ يريدُ النهوضَ بالناشئَةِ؛ يريدُ أنْ يصنعَ جيلاً مُثَقَّفًا مُتَفَتِّحًا ناجحًا، تنعمُ به تركيا وتَزْدَهِرُ، وتُنَافِسُ أرقى بلادِ العالَمِ وتَفُوقُها رُقِيًّا وحضارةً...

كَلَّفَ الرجُلُ الأثرياءَ من أتباعِهِ أن يقوموا بإعدادِ مشاريعَ تعليميَّةٍ راقِيَةٍ، فامتثلوا لأمرِهِ وساهموا في بناءِ مدارسَ وجامعاتٍ خاصَّةٍ ومؤسساتٍ لدوراتِ التدريبِ والتهذيبِ على أساسِها في جميع أنحاءِ تركيا، فلم يلبثْ حتى تخرَّجَ فيها آلافٌ من أصحابِ تخصُّصاتٍ علميَّةٍ امتازوا بتفوُّقٍ كبيرٍ على المتخرّجين من المدارسِ والجامعاتِ الحكوميَّةِ، فاغْتَبَطَهُم المجتمعُ، وكان لها أثرٌ كبير في إقبالِ آلافٍ من الطلبةِ على هذه المدارسِ والجامعاتِ مقابلَ أجورٍ باهظَة دفعتِ العجلةَ الماليَّةَ للشبكة الگُولَنِيَّةِ إلى الأمام. وبعد هذه الحملةِ التعليمية في القطاعِ الخاصِّ، وبُدُوِّ نتائجها الإيجابية بلغتْ مكانةُ فتح الله گولن عند الناسِ من الرفعةِ والقداسةِ حتى صاروا يعتقدونَ فيه أن كلَّ ما يقوله وَحْيٌ من عند الله، وَكَمْ ألوفٍ من الناسِ أولِعُوا بِمُشَاهَدَتِهِ من خلالِ شاشاتِ التلفازِ يستمعون إليه وقد حَبَسُوا أنفاسَهُمْ يُتَابِعُونَ مُحَاضَرَاتِهِ بشغفٍ شديدٍ وأبصارُهُمْ شَاخِصَةٌ على مَدَى سَاعَاتٍ. وهذا على رغم قصورِهِمْ وعجزِهِمْ عن فَهْمِ كلماتِهِ الغامضةِ الْمُشَبَّعَةِ بمصطلحاتٍ علميَّةٍ، وتعبيراتٍ حِكَمِيَّةٍ، وأمثالٍ أدبيَّةٍ وآياتٍ قرآنيةٍ، كان يَتَعَمَّدُ اسْتِعْمَالَهَا لجذبِ انتباهِ الناسِ فحسبُ. لأنَّهُ من أعلمِ الناسِ بطبيعةِ المجتمع التركِيِّ؛ يعلم أنَّ مِنْ أبرزِ ميِّزَاتِ الإنسانِ في هذا البلد: إنَّهُ قَلَّمَا يَهْتَمُّ بِألفاظٍ واضحةِ المعاني، وإنما تُعجِبُهُ الكلمةُ الغامِضَةُ، ويتشبثُ باللَّفظِ والصوتِ وَطِنِينِهِ ومُوسِيقاه الذي يصحبُهُ في أثناءِ النطقِ، وإنَّهُ كلَّما وجدَ الغموضَ في كلماتِ الناطقِ ازْدَادَ انبهارًا بِهِ وأخذهُ الخشوعُ والهيبَةُ بين يديه. لأنه يرى نفسَهُ دون مخاطَبِهِ معرفَةً وثقافةً. وقد يزدادُ تعظيمًا له لكثرةِ ما يسمعُ مِنْ مناقِبِهِ وامتداحِ الناسِ له، فيبدأ يعتقدُ أنَّ هذا الممدوحَ الذي ذاعَ صيتُهُ "وَلِيٌّ من أولياءِ الله الأتراكِ الذين يمشون على الأنهارِ

---

[3] شَاهِدْ: https://www.youtube.com/watch?v=LMrOTNb-4GI

والبحارِ دون أن يصيبَهم البللُ، ويطيرون في الهواءِ فوقَ السُّحُبِ، وتنطوي الأرضُ تحت أقدامِهم، يقطعون مسافاتٍ شاسعةً في لَمْحَةِ البصر" ونحو ذلك...

من الغريب جدًّا والجديرِ بالتساؤلِ: أنَّ رجالَ السياسَةِ والأمنِ والمخابراتِ كُلُّهُمْ كيفَ غفلوا عمَّا حَفَرَ فتح الله كولن في أدمغةِ آلافٍ من بطانته على مَدَى أربعين سنةً: من الرموزِ والإشاراتِ والألغازِ والأسرارِ حتى أصبح كُلُّ فردٍ منهم مسلوبَ الإرادةِ كدُمْيَةٍ في يده يُحَرِّكُهُ وَيُقَلِّبُهُ وَيَلْعَبُ بِهِ وَيُجَنِّدُهُ في أيِّ وظيفةٍ شاء! وظلَّتِ الحكوماتُ التركِيَّةُ تدعمُهُ في تنفيذِ مشارِيعِهِ (التعليميةِ!) وهي في الحقيقةِ كانت معسكراتٍ يُدَرَّبُ فيها آلافٌ مؤلّفةٌ من الشبابِ، كُلَّما تخرَّجَتْ منهم فِئَةٌ تسرَّبُوا إلى أجهزةِ الدولةِ التركِيَّةِ وتبعثروا عَبْرَ مَرَافِقِهَا الحساسةِ، وتبوَّؤُوا مناصبَ عاليةً في مُؤسَّساتِ القضاءِ والأمنِ والجيشِ والمخابراتِ، وتعاونوا فيما بينهم بأشدِّ ما يكونُ من السِّرِّيَّةِ والخفاءِ. استطاع فتح الله كولن بِحُكْمِ هذه السِّرِّيَّةِ الْمُفْرِطَةِ (التي نَفَعَتْهُ في البدايةِ وأضرَّتْ بِهِ في النهايةِ!) استطاع بِحُكمِها أنْ يُربِكَ جميعَ رجالِ الدولةِ من السياسيّين والبيروقراطيّين والعسكريّين، استطاعَ أن يُقنِعَهم أنه لا يهتمُّ إلاَّ بتعليمِ الناشئةِ، ورفعِ المستوى التعليمِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ والثقافيِّ للمجتمعِ التركيِّ ليس إلاَّ.. فطاشَ عقلُ الدولةِ التركيةِ، وظلَّتِ الحكوماتُ تجهلُ ما يجري وراءَ (المشاريعِ التعليمِيَّةِ الكولنِيَّةِ!) من فعالِيَّاتٍ استخباراتِيَّةٍ، وتدابيرَ استراتيجيةٍ، واستعداداتٍ عسكرِيَّةٍ، وخططٍ انقلابِيَّةٍ تتأهبُ الشبكةُ بها لتقومَ يومًا فتنقضَّ على النظامِ على حين غفلةٍ من حُكَّامِهِ.

يبدو أنه قد غَفَلَتْ عن أهدافِ هذا الرجلِ قِمَّةُ سياسةِ الدولةِ التُّركِيَّةِ على مدى أربعين سنةً، وبالتحديد: كلٌّ من كنعان أفرين Kenan Evren، وترغوت أوزال Turgut Özal، وسليمان ديميريل Süleyman Demirel، ومسعود يلماز Mesut Yılmaz، وطنسو تشيلر Tansu Çiller، وبولند أجاويد Bülent Ecevit... كُلُّ هؤلاءِ الشخصيَّاتِ كانوا مُعْجَبِينَ بمشاريعِ فتح الله كولن، لأنَّهم جميعًا كانوا يرون أنَّها جهودٌ خالِصَةٌ تَتَبَنَّى النهوضَ بالدولةِ التركِيَّةِ والمجتمعِ التركيِّ، وإيقاظٌ للأدمغةِ، وحركةٌ بطوليةٌ لإحياءِ أمجادِ الأمة التركِيَّةِ...

ذلك أنَّ فتح الله كولن طالما ادّعى لدَى كلِّ مناسبةٍ "أنّه لا يهتمُّ بالسياسةِ أبدًا، وإنّما يهتمُّ برفعِ مُستَوَى التعليمِ للشبابِ وحسبُ!" كان هذا من أكبرِ أكاذِيبِهِ، بل ظلَّ على صلةٍ بِرُؤَساءِ الأحزابِ السياسِيَّةِ (ماعدا نجم الذين أرباكان Necmettin Erbakan). كما سَانَدَ حِزْبَيِ (الطريقِ القويمِ Doğruyol Partisi) و(الوطنِ الأُمِّ Anavatan Partisi) اليمينيَّيْنِ وحزبَ اليسارِ الديمقراطِيِّ

Demokratik Sol Parti، وأرقى بسليمان ديميريل إلى كُرْسِيِّ رئاسةِ الحكومةِ، وَدَعَمَ بولند أجاويد Bülent Ecevit في صِراعِهِ مع مُنَافِسِيهِ السياسيّين. ولم يكُنْ كراهيَّتُهُ لأربكان إلاَّ لأنَّ كِلَيْهِمَا كانا مُتَنَافِسَيْنِ في التلاعُبِ بالدِّينِ، وتشجيع الْمُسْلُمَانِيَّةِ التركيَّةِ (لطمسِ بقية الآثارِ الضعيفةِ للإسلامِ في تركيا)، ومساعدةِ أوكارِ الزندقةِ والتضليل...

لعلَّ الحكوماتِ التركيَّةَ أغضتِ الطرفَ عن نشاطاتِ فتح الله گولن في كلِّ تلك الفترةِ، لأنَّ السياسيّين كانوا يحتاجون إلى دَعْمِهِ أيَّامَ اشتِدَادِ الصراعاتِ الإنتخابيَّةِ لكسبِ أصواتِ الْمُلْتَفِّينَ حَوْلَهُ. يبرهنُ على هذه الحقيقةِ أنَّ أيَّ حزبٍ سياسِيٍّ، لم ينتصرْ على خصومِهِ في الحملاتِ الإنتخابيَّةِ إلاَّ بمساعدةِ أنصارِ فتح الله گولن! وهذا يدلُّ في الوقت ذاتِهِ على كثرتِهِم البشريَّةِ، وقدرتِهِم الماليَّةِ التي كانوا يتمتَّعون بها، ومدى سيطرتِهِمْ على جهازِ الدولةِ، وتَوَغُّلِهِمْ في صفوفِ الشعب... حتى إذا جاءتْ مرحلةُ تَحَالُفٍ غيرِ مُعْلَنٍ بين فتح الله گولن ورجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan سنةَ **2003**م، (كان القاسمُ المشتركُ الوحيدُ بين گولن وأردوغان أصلاً: معاداةُ الأَتَاتُورْكِيِّينَ ومعارضتُهم، !) نعم، كان هذا هو القاسمُ المشتركُ الوحيدُ بينهما، لأنَّ كليهما متشبثان بالدِّينِ، وهما مُولَعانِ بِهِ احتكارًا واستغلاَلاً! هذا هو الخطُّ الأحمرُ الذي يفصِلُ بين الأتاتوركيِّينَ وبينهما. وبهذه المناسبة يجدر الاشارةُ إلى أنَّ الحروبَ المتكرّرَةَ على الساحةِ التركِيَّةِ بين الجماعاتِ المتباينة منذ قرنين، كُلُّهَا مرتبطةٌ بالصراع السياسِيِّ (الناشئ من القلقِ حول الدين)، تتجدّدُ وتَسْتَعِرُ من حين لآخر بين الجبهة المتظاهرةِ بالتَّدَيُّنِ، وبين الجبهة التي تَزْعُمُ أنَّها محايدةٌ في مسألةِ الدِّينَ (وهي مارقةٌ وثنيةٌ في الواقع). ذلك لأنَّ الجبهةَ المتديّنَةَ لا صلةَ لها بالاسلامِ أصلاًّ، تُؤَكِّدُهَا حقائقُ تاريخيةٌ يستحيلُ طمسُها وإخفاؤُها. بل تعتنقُ هذه الجبهةُ دينًا قبوريًّا وثنيًا (وهي: الْمُسْلُمَانِيَّةُ Müslümanlık). وهذه الديانةُ مُتاحةٌ للاتِّجَارِ بها، والاحتكارِ والإستغلالِ في أيّ زمانٍ ومكان، بخلافِ الدِّينِ الإسلامِيِّ الحنيف. كما أنَّ الأتاتوركِيَّةَ أيضًا غدَتْ دينًا متكاملاً بِطُقُوسِها وَمَعْبَدِهَا وتماثيلِها (بخاصَّةٍ بعد اعتمادِ القانون رقم/**5816** الصادر في **1951/07/31**م تحت رقم/**7872**). وهي أيضًا تُمَثِّلُ مَتَاعًا تجاريًّا رائجًا في سوقِ السياسةِ من غير شكّ.

تحالف گولن وأردوغان سنةَ **2003**م تحت جناح السرِّ أنْ يتعاونا على تصفيةِ الأتاتوركيّين من المسرح السياسِيِّ (وذلك بواسطة رجلٍ سياسِيٍّ قريبٍ من أردوغان، ورجلٍ أكاديمِيٍّ من بطانةِ فتح الله گولن). اتَّفَقَ الطرفان على هذا القرارِ بأنْ يتمَّ تنفيذُهُ ضمنَ برنامجٍ مرحلِيٍّ بالتدريج حتى تنتهِيَ عمليةُ تطهيرِ الصفوفِ من الأتاتوركيّين وإحلالُ الْمُتَدَيِّنِينَ مكانَهُمْ. لكنَّ اختلافَ الحليفين في العقيدةِ فتح بينهما بابَ المنافسةِ وحالَ دون تحقيقِ هدفِهِمَا المنشود في أمدٍ قصير. ذلك أن فتح الله گولن أرادَ تمييعَ

المسلمانيةِ بإعادةِ تنظيمِها على غرارِ المسيحِيَّةِ بأن "يُحَوَّلَ إلى دينٍ مَرِنٍ يَتَنَاغَمُ مع الْقِيَمِ الْعَالَمِيَةِ وَالْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ، لا يَتَدَخَّلُ في الشؤونِ السياسِيَّةِ، ويتركُ الإنسانَ يعبدُ رَبَّهُ على سعَةِ حريَّتِهِ، وهذا سوف يحدُّ من التطرُّفِ الدِّينِيّ الذي تعاني منه الشعوبُ المنتسبةُ إلى الإسلام، ويُنْقِذُهُمْ من الفوضى التي تسودُ مجتمعاتِهِمْ!". (ظهرت أسرارُ هذه الفكرة خاصَّةً بعد اتصالاتِ گولن بالبابا يوحنا بولس الثاني في 10 شبط عام 1998م.). لكن أردوغان أصرَّ في مقابلِ ذلك على إبقاءِ المسلمانيةِ في ثوبِ الطريقة النقشبنديَّةِ تمسُّكًا بسنّةِ الآباءِ، واحترامًا للشعبِ المسلماني، وَرَدْعًا لانتشارِ السلفيَّةِ وعقيدة التوحيد على الساحة التركية!

انتفع أردوغان بمساعَدَاتِ فتح الله گولن ومساندَتِهِ قبل هذا الإختلافِ وانتصرَ على مُعَارِضِيهِ خاصةً أيَّامَ الاستِفتاءِ على التّعديلاتِ الدستوريَّةِ. تَدُلُّ كَلِمَتُهُ على الوِفَاقِ التامّ بينهما، تلك التي ألقاها فوقَ شُرْفَةِ مركزِ حزبِ العدالةِ والتنميةِ في أنقره، عَقِبَ انتصارِهِ في الحملة الإنتخابية يوم 12 أيلول/سبتمبر 2010م. قال فيها."أشكرُ الإخوةَ الذين قَدَّمُوا لَنَا دَعْمَهُمْ مِنْ وراءِ المحيطِ الأطلسي!"[4] يقصِدُ جماعةَ فتح الله گولن الذي يُقِيمُ (وراءَ المحيطَ الأطلسي!) في الولايات المتَّحِدَةِ الأميركية، والذي قال في كلمةٍ له قُبَيْلَ الانتخابات: "الاستفتاءُ مسألةُ حياةٍ أو موتٍ بالنسبة لجماعتِنَا، إنَّنَا لن نتركَ القرارَ لإرادةِ الشعب أبدًا. هذا، ويجوز لنا أنْ نلجأ إلى كلِّ شكلٍ من أشكالِ الحيلةِ لتمريرِ هذهِ الحزمةِ (أي التعديلاتِ الْمُعَدَّةِ في الدستور)، بما في ذلك: المشاركةُ في الإقتراعِ بأسمائِنا وحتى بأسماءِ مَنْ قد ماتوا!".[5]

لقد تلقّى رجب طيب أردوغان الترحيبَ والدعمَ من حَلِيفِهِ ثلاثَ مراتٍ في الحملاتِ الإنتخابيَّةِ لكنَّ هذا الدعمَ كلَّفَهُ غاليًا وكانَ ثَمَنُهُ باهظًا. والقصةُ تتلخَّصُ في أنَّ فتح الله گولن كان قد هَرَبَ من تركيا وأقامَ في أميركا منذ عام 1999م. لِتَخَوُّفِهِ من فرضِ العقوبةِ عليه جَرَّاءَ ما قد أصبح من المعروفِ

---

[4] وهذه كلمته باللغة التركية حرفيًا: Okyanus ötesinden destek veren arkadaşlara teşekkür ederim. المصدر:
http://www.milliyet.com.tr/erdogan-dan-ilk-aciklama/referandum/sondakika/12.09.2010/1288172/default.htm

[5] وهذه كلمته باللغة التركية حرفيًا:
Referandum cemaatimiz için bir ölüm kalım meselesidir. Paketin geçmesini halkın kararına bırakamayız. Anayasa değişiklik paketinin geçmesi için, ölüler ve diriler adına oy kullanmak da dahil, her türlü hileye başvurmamız caizdir.

المصدر:

http://www.guncelmeydan.com/pano/gulen-imkan-olsa-mezardakilere-bile-evet-oyu-verdirmeli-t25995.html

لدى جهازِ الاستخباراتِ استعداداتُهُ للانقضاضِ على نظامِ الْحُكْمِ بطريقةٍ انْقلابِيَّةٍ، وكان رجب طيب أردوغان قد انْتَبَهَ في الأوانِ الأخيرةِ إلى مدى خطورةِ هذا الشيطان الْمُلَثَّمِ بوشاح الدِّينِ والعلم.. إنَّ أردوغان هو أولُ رجلٍ سياسِيّ انْتَبَهَ (بالمعنى الواقعِيّ) إلى الأهدافِ النهائيَّةِ لهذا الدَّجَّالِ، وكان يراقبُ تحركاتِهِ باهتمامٍ بالغٍ، فتأكّدَ مِنْ أنَّ عذابًا أليمًا ينتظرُهُ، يوشك أن يُدرِكَهُ على يدِ الزبانيةِ الگُولَنِيِّين الذين يتربَّصون به ليقطعوه إربًا إربًا. فبدأ يحتاطُ في أمره. إذ كان يعلمُ حقَّ اليقينِ أنَّ فتح الله گولن الذي يسيطرُ على قلوبِ الملاين ويمتلكُ زمامَهُمْ كما يُمْسِكُ بِعِقَالِ حِمَارِهِ – أصبح قادِرًا على أن يُرسِلَ المعشرَ العظيمَ الذي الْتَفَّ حوله، أن يُرسِلَهُمْ على أيّ قوّةٍ بإشارةٍ منه في أيّ لحظة.

تأمَّلَ أردوغان بأناةٍ أنه محاطٌ بشبكةٍ ضخمةٍ خطيرةٍ تُسيطرُ على جميعِ مؤسساتِ الدولةِ، فبدأ يشعرُ بضغوطِها على حكومتِهِ. خاصةً بعد أن قامتْ هذه الشبكةُ الإرهابيةُ باختلاقِ جرائمَ خياليَّةٍ[6] وأَسْنَدَتْهَا إلى شخصياتٍ من أصحابِ الرُّتبِ الرفيعةِ في الجيشِ التركِيّ وحكمتْ عليهم بعقوباتٍ صارمة. والطامةُ الكبرى أنَّ عددًا من جواسيسِ فتح الله گولن كانوا قد تسلَّلُوا إلى صفوفِ حزب العدالة والتنمية وإلى حكومةِ أردوغان، يراقبون جميعَ أقوالِهِ وتصرفاتِهِ، ويطَّلِعون على أسرارِهِ، ويُسجّلونها بأجهزةٍ ألكترونية دقيقة... وحتى في الوقت الراهن؛ فإنَّ فتح الله گولن، مع ما يبدو مهزومًا بعد ثورتِهِ الفاشِلَةِ التي فجَّرَهَا يوم **15** تموز من عام **2016**م. فإنَّهُ لن ينتهِيَ من مواصلةِ ألاعيبِهِ ومكائِدِهِ ليقضِيَ على أردوغان وعلى كلِّ مَنْ يواليه. لأنه لا يزالُ يحتفظُ بقسطٍ كبيرٍ من رصيدِهِ البشرِيّ والمالِيّ في الداخل والخارج، يَتَحَكَّمُ في ضميرِ ملايين الأتراك، يُسْتَبْعَدُ أنْ يكون بين أتباعِهِ مَنْ يعصِي له أمرًا! خاصَّةً وأنّ الجيلَ الذي صَنَعَهُ بيده منذ أربعين عامًا، قد تميَّعَ في شرايين الدولة التُّركِيَّة بحيث لا تخلوا مؤسّسةٌ حكومِيَّةٌ، ولا دائرةٌ رسميّةٌ، ولا وزارةٌ، ولا حزبٌ سياسيٌّ (حتى الحزب الشيوعي) إلاَّ وفيه أحدُ رموزِهِ قد اندسَّ بينهم، يراقبُ الحركاتِ هناك ويقوم بِجَمْعِ الأخبارِ والمعلوماتِ وإرسالِها إلى مقرِّ فتح الله گولن بمدينة بنسيلوانيا (Pennsylvania) في الولايات المتحدة وفقًا للتعليمات التي يتلقَّاهَا مِنْ مركزِ الشَّبَكَةِ. هذا بالاضافةِ إلى المساعداتِ التي يَتَلَقَّاهَا الرجُلُ وجماعتُهُ من الحكومةِ الأميركيَّةِ والدولِ الأوربيَّةِ...

---

[6] اختلقت الشبكةُ الگولنيةُ عام **2009**م. قصّةً وهمِيَّةً بعنوان "أرجنكون Ergenekon"، وهي قصةُ جريمةٍ خيالية لا حقيقةَ لها تتمثّلُ في وجودِ تنظيم سِرِّي يتكوّنُ من عددٍ من الضباطِ، بينهم رئيس الأركان السابق للقوات المسلحة. يزعم رجال الأمن والقضاءِ التابعون للشبكة "أن هؤلاءِ الضباط قد انتظموا فيما بينهم ليقوموا بإطاحة حكومة أردوغان والوثوبِ على السلطة". إنما قامت الشبكةُ الگولنيةُ باختلاقِ هذه التهمةِ لسببين: أولاً: لتهديد الجيشِ (العلمانِيّ) وتخويفِهِ والانتقامِ منه على تبنيه الأتاتوركِيَّةَ وحقدِهِ على الْمُسْلُمَانِيَّةِ التركِيَّةِ. والسبب الثاني: إشعارُ رجب طيب أردوغان بمدى قدرات الشبكة وأنها قادرةٌ على حمايته إنْ أعلَنَ إستسلامَهُ لِفتح الله گولن واعتنق فاسفتَهُ في الحفاظِ على الْمُسْلُمَانِيَّةِ الگولنيةِ المرنةِ، وتخَلَّى عن الْمُسْلُمَانِيَّةِ النقشبندِيَّةِ.

أيقن أردوغان أنَّ الخطرَ الْگولنيَّ بدأ يقتربُ منه بسرعةٍ، فأرادَ أن يتَّخذَ بعضَ الإجراءاتِ لتقليصِ نشاطاتِ هذه العصابةِ الْمُتَحَكِّمَةِ في أجهزةِ الدولةِ، فتحرَّكَ بحكمةٍ؛ استعدَّ أوَّلاً لإصدارِ قرارٍ[7] بإلغاءِ "الدَّرْسخَانَات Dershaneler"؛ وهي دوراتٌ تعليميَّةٌ خَاصَّةٌ، بلغ عددُها 900 مدرسةٍ على مستوى الساحةِ التركيَّةِ، كانت لها برامجُ تهذيبيَّةٌ وتثقيفيَّةٌ فريدةٌ، مُهِمَّتُهَا: الرفعُ بالمستوى العلمِيّ والثقافِيّ للطلبةِ، ومساعدتُهم في تأهيلِهِمْ وإعدادِهِمْ للالتحاق بالجامعات. دامتْ نشاطاتُهَا منذ عشرات سنين، كانت مصدرًا هامًّا تَتَغَذَّى بها خزانةُ "العصابة الْگولنِيَّة". فانْسَدَّتْ عليهَا أهمُّ قنواتِ الدخلِ بهذا الخبر المفاجئ. لأنَّ أردغان أرادَ أنْ يقطعَ أهمَّ شرايينِ التمويلِ الخاصَّةِ بـ"الشبكة الْگولنِيَّةِ"، فيُنزلَ بمثلِ هذا القرارِ ضربةً قاصِمَةً عليها. وهنا انقطع الحبلُ بين الحليفين، واستعدَّ فتح الله گولن للخوضِ في مغامرةٍ خطيرةٍ ضدَّ أردوغان، وبدأ يحوكُ خيوطَ المؤامرةِ للقضاءِ عليه والْفَتْكِ به دون رحمةٍ!

كان أردوغان يومئذٍ رئيسَ وزراءِ الحكومةِ الْمُنْبَثَقَةِ من حزبِ العدالةِ والتنمية. أخذ يَتَنَكَّرُ له أصحابُهُ من بطانةِ فتح الله گولن يتربصون به الدوائر. كما بدأ ترتفعُ الأصواتُ ضدَّهُ بأنه يمارِسُ سياسةً استبدادِيَّةً في حُكْمِهِ. وما لبث حتى استفحل الأمرُ بإثارةِ أصحابِ گولن الشارعَ ابتداءً من 27 مايو 2013م. قامتْ مظاهراتٌ ضخمةٌ في ميدانِ (تقسيم) بمدينةِ إسطنبول، سُمِّيَتْ فيما بعد بـ"أحداثِ جيزي بارك Gezi Olayları". كانت هناك ذريعةٌ احتجَّ بها المعارضونَ ضِدَّ حكومةِ أردوغان. تلك أن بلديةَ إسطنبول قرَّرَتْ إزالةَ عددٍ من الأشجارِ في (حديقةِ تقسيم) لإعادةِ إنشاءِ ثُكْنَةٍ عسكريَّةٍ عثمانيَّةٍ (هُدِمَتْ في 1940م). هذه الإنطلاقةُ من السلطةِ غدتْ حجَّةً في يدِ "الشبكة الْگولنِيَّة" فأثارتْ على الحكومةِ أخلاطًا من الأتاتوركيّنَ واليساريّين لشَدّ الخناقِ عليها. فلما قفزَتِ الأحداثُ إلى المدنِ الرئيسةِ وأخذتْ تتحوَّلُ إلى الفوضى، قامت الحكومةُ بتعزيزِ المقاومةِ لإخمادِها. لكنَّهُ لم يمضِ الوقتُ طويلاً حتى كَشَّرَتِ "الشبكةُ الْگولنِيَّةُ" عن أنيابِها، فهبَّتْ للانتقامِ من حكومةِ أردوغان.. وبطانةُ فتح الله گولن كانوا يومئذٍ يسيطرُون على مُعظمِ جهازِ الأمنِ والقضاءِ.. يُفْتَرَضُ أنَّ أكثرَ مِنْ نصفِ عناصرِ الشرطةِ كانوا من أعضاءِ "الشبكة الْگولنِيَّةِ"، كما يقدَّرُ عددُ رِجالِ القانونِ (من هذهِ الشبكة) المندسِّينَ في جهازِ القضاءِ بآلاف.

أصدر الْمُدَّعِي الْعَامُّ (لِمدينةِ إسطنبول) جلال كارا Celal Kara، وهو مِنْ أهمِّ عناصرِ "الشبكة الْگولنيَّةِ"، أصدر أمرًا لقواتِ الشرطةِ فقامتْ فجرَ يوم 17 من شهر ديسمبر لعام 2013م. بالقبضِ

[7] أُصْدِرَ هذا القرار مؤخَّرًا كقرارٍ طارئٍ، بتاريخ: 2016/07/22م. تحت رقم: 667، اعتمادًا على قانو الحالة الطارئة رقم/2935 المادة رقم/4 المنبثق من المادة/121 للدستور. أُعلِنَ القرار في الجريدة الرسمية بتاريخ: 25 تموز 2016م. رقم:29779.

على أبناءِ ثلاثةٍ من الوزراءِ في حكومةِ أردوغان، وهم بالتحديد: باريش جولير Barış Güler ابنُ وزيرِ الداخليَّةِ (معمر جولير)، وكَاعَانْ جاغليان Kaan Çağlayan ابنُ وزيرِ الإقتصادِ (ظفر جاغليان)، وأُوغُوزْ بَيْرَقْدَارْ Oğuz Bayraktar ابنُ وزيرِ البيئَةِ والتخطيطِ العمرانِيّ (أردوغان بيرقدار)، كما أُلقِيَ القبضُ في هذه الحملةِ على **37** شخصًا آخرين منهم: عَلِي أغا أوغلو Ali Ağaoğlu[8]، ورضا ضَرَّاب Rıza Zarrab[9]، وسليمان أرسلان Süleyman Arslan[10]، ومصطفى دمير Mustafa Demir[11].

كانت هذه المبادرةُ الجريئةُ من "الشبكة الْگولنيَّةِ" تحدّيًا شديدًا في وجهِ حكومةِ أردوغان، بل كانتْ تهديدًا صريحًا لها واستخفافًا بها هزّتْ كيانَها، كما قَضَتْ على التحالُفِ الْمُنْعَقِدِ بين الطرفين ضِدَّ (الأتاتوركيّين). واستعرَتِ الحربُ بين الحكومةِ وبين الشبكةِ بعد هذه الحادثةِ، كما أثارتِ المعارضةَ (الأتاتوركيةَ) فازدادتْ جرأةً على أردوغان وحكومتِهِ.

يبدو أنَّ الأزمةَ أقلقتْ أردوغان وَأقَضَّتْ عليه مَضْجَعَهُ حتى جعله يبذُلُ ما يملكُ من قدرةٍ وإمكاناتٍ في محاربةِ فتح الله گولن وشبكتِهِ. بدأ يُكَثِّفُ جميعَ جهودِهِ مستميتًا لِيَقْبِضَ على الرجلِ ويستأصلَ شَأْفَةَ عصابَتِهِ. خرجَ أردوغان إلى الساحةِ عقبَ أحداثِ **17** ديسمبر، فاستغلَّ كلَّ وسيلةٍ للتحامُلِ على فتح الله گولن وعصابتِهِ؛ ندَّدَهُ بلهجةٍ قاسيةٍ ووصفَ أنصارَهُ وبطانَتَهُ بـ"الدولة العميقة، وبـ"الدولة الموازية، وبـ"الحشاشين"؛ شبَّهَهُمْ بأصحابِ حسن بن صباح الذين كانوا يَتَلَقَّوْنَ تدريباتٍ احترافيَّةً لِكسبِ المهارةِ في تنفيذِ الإغتيالات وأعمال السطوِ والإرهاب في أيّامِ الدولةِ العباسيَّة. هدَّدَهُمْ أردوغان في كلِّ مناسبةٍ وأكثرَ من كلمتِهِ الشهيرةِ (باللغةِ التركية): «inlerine gireceğiz»، يعني:"سوف نداهمهم في أوكارهم، سوف ندخلُ خَلاَيَاهُمْ على حين غفلة منهم" أي سنقبضُ عليهم، سَنَفْضَحُهُمْ، سنكشفُ القناعَ عن وجوهِهِمْ لتظهرَ حقيقَتُهُمْ إلى العيانِ، ويطَّلِعَ الناسُ على مكائِدِهِمْ ومساوِيهِمْ وجِنَايَاتِهِمْ...

---

[8] وهو من رجال الأعمال المشهورين في تركيا، ومقرَّب من أردوغان والحكومتِهِ، يملك أضخم شركة للإنشاءات.

[9] وهو من مشاهير رجال الأعمال في آذربيجان، وزوج المطربة التركية الشهيرة إبرو كوندش Ebru Gündeş، يقيم في تركيا.

[10] وهو مدير العام لـ(بنك الخلق) الأهلي Halk Bankası

[11] وهو رئيس بلدية حي الفاتح في اسطنبول.

بدأت ملاحقةُ أصحابِ فتح الله گولن الْمُنْدَسِّين في أجهزةِ الدولة؛ أَصْدَرَ عددٌ من المدَّعين العامّين في مختلفِ مُدُنِ تركيا أوامرَ باعتقال آلافٍ من العاملين في جهازِ الأمنِ والقضاءِ، واحتجزَتْهم السلطاتُ عبرَ مُداهماتٍ مُتكَرِّرَةٍ عقبَ أحداثِ 17 ديسمبر، كما أصدرتِ الحكومةُ قرارًا يَقضِي بإغلاقِ الدَّرسْخَانَاتِ وبعضِ المؤسَّسات التابعةِ لـ"الشبكةِ الگولنِيَّةِ".

ولَمَّا ضاعفتِ الحكومةُ التركِيَّةُ ضَغْطَها على العصابةِ الگولنِيَّةَ، وضَيَّقَتِ الخناقَ عليها، بدأتِ العصابةُ تُفَكِّرُ في تدبيرٍ للقيامِ بإطاحةِ الحكومةِ والوثوبِ على السلطةِ انتقامًا منها. لكنَّ القنواتِ الإستخباراتيَّةَ التركِيَّةَ لم تَغْفَلْ هذا الإحتمالَ، خاصةً بعد أن أقدمتِ العصابةُ الگولنِيَّةُ على مداهمةِ شاحناتٍ تابعةٍ لجهازِ الاستخبارتِ التركِيَّةِ. والقصّةُ تتلخَّص في أنَّ الشرطةَ التابعةَ للعصابةِ الگولنِيَّةَ كانَتْ قد أوقفتْ مجموعةً من الشاحناتِ التابعة لجهاز الإستخباراتِ التركِيَّةَ قربَ مدينة (أضَنَه)، عليها حُمُولاتٌ كبيرةٌ من الأسلحةِ والعتادِ تَنْقُلُهَا لِفصائلِ المقاومةِ السورية، وذلك يوم 19 من شهرِ كانون الثاني لسنة 2014م.. بدأتِ العصابةُ بهذه المبادرةِ تستعدُّ لِلقيامِ بانقلابٍ عسكريٍّ يتمُّ القبضُ في الخطوةِ الأولَى منه على رجب طيب أردوغان، ورئيسِ الوزراءِ، والقائدِ الأعلَى للقوَّاتِ المسلَّحةِ التركية...[12]

دامتِ المشاوراتُ بين أعضاءِ النُّخْبَةِ للشبكةِ الگولنِيَّةِ؛ تَبَادَلُوا الآراءَ خلالَها حولَ تنفيذِ المؤامرةِ فترةً أخذتْ أكثرَ مِنْ عامٍ؛ عكفوا على تعيينِ النقاطِ للحملةِ الإنقلابِيَّةِ وتوزيعِ الوظائفِ، غير أنَّ قمةَ العصابةِ (من سوءِ حظِّهم) لم يكونوا عسكريّين، ولم يكونوا يقطعونَ أمرًا إلاَّ بعد أن يأخذوا الموافقةَ من فتح الله گولن، لِقُوَّةِ إيمانِهم به، وشدَّةِ انقيادِهِم له، وتفانيهم فيه، واعتقادِهم بـ"أنه لا يُخطِئُ أبدًا، لأنه لا يَبْدُرُ شيءٌ منه إلاَّ بوحيٍ من الله له!"

كان فتح الله گولن (رغمَ ذكائه الوقّادِ، وتجارُبِهِ الغزيرةِ، ومعرفتِهِ الواسعةِ بتاريخِ شعبِهِ وحياتِهِ الإجتماعيَّةِ)، كان يتجاهلُ شخصِيَّةَ رجب طيّب أردوغان في تلك الساعةِ الحسَّاسةِ التي يُنَاقِشُ فيها برنامجَ الإنقلابِ مع حاشيتِهِ في بنسيلوانيا، معَ أنَّ أردوغان (بغضِّ النظرِ عن عقيدتِهِ القبوريَّةِ الوثنيَّةِ الفاسدَةِ)، رجلٌ منقطعُ النظيرِ في مواجهة الخصومِ، ومقاومة التحدّيَات، ودحضِ الحججِ بِجُرْئَتِهِ الفائقةِ،

---

[12] تم القبضُ على كلٍّ من الْمُدَّعِينَ العامِّين: سليمان بَاغْرِيَانِيك Süleyman Bağrıyanık، وأُزْجَانْ شِيشْمَان Özcan Şişman، وعزيز تَاكْجِي Aziz Takçı، وأحمد كَارَاجَا Ahmet Karaca، وياشار كَاوَالْجِي أوغْلُو Yaşar Kavalcıoğlu، وقائدِ قُوَّاتِ الدَّرَكِ لمدينةِ (أضَنَه) أُزْكَانْ جُوكَايْ Özkan Cokal. تَمَّ القيضُ عليهم يوم 15 مايو 2015م. بسببِ عُضْوِيَّتِهِمْ للعصابةِ الگولنِيَّةِ، وتلبُّسِهم بإيقافِ الشاحنات التابعة لجهاز الإستخبارات التركية. ثم بعد تحقيقات عدليةٍ بشأن المذكورين أصدر مجلس القضاةِ والْمُدَّعِينَ العامِّين قرارًا بطردِ هؤلاءِ الْمُتَّهَمِين من ممارسةِ المهنةِ يوم 14 يناير 2016م. وحُكِمَ عليهم بالسجنِ المؤبَّدِ.

وبلاغتِهِ الكلامِيَّةِ، وأسلوبِ خطابِهِ الأخّاذِ... يكفينا استنكاره اللاذعُ وكلمتُهُ الشهيرةُ «one minut» يوم 29 يناير 2009م. أثناء مناقشةِ هجماتِ إسرائيلَ على قطاعِ غزّةَ المحتلَّةَ في مؤتمرِ دافوس..

غفلَ فتح الله گولن عن تقديرِ ما يَتَّسِمُ به أردوغان من الثقةِ بالنفسِ والجرأةِ والغرورِ والطغيانِ ومعرفةِ الحِيَلِ في مُغَالَبَةِ الخصمِ. يظهر ذلك إذا قُورِنَ بجميعِ السياسيّين الذين احتلُّوا قِمَّةَ الدولةِ التركيَّةِ قبلَهُ. إنّ فتح الله گولن فاته أن يتأمَّلَ في هذه الحقيقةِ ونسِيَ أنَّ رجب طيب أردوغان استطاعَ أن يُهَدِّدَ قائِدَ القوات المسلحة (ياشار بيوك آنيت Yaşar Büyükanıt) في جلسةٍ مغلقةٍ ويُنزِلَ الرُّعْبَ في أعماقِ قلبِهِ (بحسبِ ما قيل، والله أعلم!): أخطره بمدى مقدرة الشعبِ العازلِ من السلاحِ بقولِهِ: "إنْ أردتُ أنْ أُثيرَ الناسَ عليكم في أيِّ لحظَةٍ، فسوفَ ينتزعُون جميعَ الأسلِحَةِ التي بأيدِيكم خلالَ ساعاتٍ، لأنَّ السلاحَ أصلاً مُلْكُ الشعبِ، فلا ينبغي أن تَتَنَاسَوْا مَقْدَرَةَ شعبِنَا العظيمِ الذي يُطعِمُكُمْ من خُبزِهِ ويُسقيكم من مائِهِ. وإنما تتمتَّعون بالعيشِ الرغيدِ بفضلِ الضرائِبِ التي يؤدِّيهِ الشعبُ إلى خزانة الدولة!" هكذا وبهذه الكلمات السحريَّةِ (إن صحَّ الخبرُ) أوْدَى أردوغان بالروحِ الإنقلابِيَّةِ المتمرّدَةِ والمتأصّلَةِ في دماغِ هيئةِ الأركانِ للقُوَّاتِ المسلحةِ التركيَّةِ.

غَفَلَ فتح الله گولن أو تَغَافَلَ عن كلِّ هذه الحقائق، وركبَ رأسَه وراءَ أحلامِهِ وخيالاتِهِ وطموحاتِهِ التي طَمَسَتْ على بصيرتِهِ، وأعْمَتْهُ، وأذهبَتْ بجهودِهِ التي بذلَها على مدى أربعين عامًا، وخَيَّبَتْ آمالَهُ في ساعاتٍ قليلةٍ يوم 15 تموز 2016م. سقطَ گولن ضَحِيَّةً لعقولٍ قاصرةٍ فاسِدةٍ متطرّفَةٍ تلاعبتْ بِهِ، وتلاعبَ هو بِهَا، كنتيجةٍ لعلاقاتٍ غريبةٍ جرتْ بينه وبين بِطَانَتِهِ لِفَرْطِ سرِّيَّتِها. لأنَّ السرّيَةَ مشكلةٌ عويصةٌ قَلَّمَا تنفعُ صاحِبَها، وتعودُ عليه بالمساوي خاصّةً إذا طالتْ. لذلك نصحَ أهلُ الحكمةِ بالصراحة والشفافِيَّةِ من القديم إلى اليوم، وقالوا "إنما النجاةُ في الصدق." كما أنَّ الهَلاكَ فى الكذبِ، وما أكثره في العلاقات السرّيَّةِ. وبالمناسبة: قيلَ خطبَ الحجاجُ بْنُ يوسفَ يومًا فَأَطَالَ، فقامَ رجلٌ وقال "الصلاة الصلاة، الوقتُ يَمضِي ولا ينتظرُكَ يا أميرَ الحبشة!" فقال قومُهُ إنَّه مجنون! قال الحجاج: إنْ أقرَّ بِجِنَّتِهِ. فقيل للرجلِ، فقال: "معاذ الله أن أقول ابتلانى وقد عافانى." فبلغ الحجاجَ، فعفا عنه لِصِدْقِهِ، فصار الصدقُ سببًا للنجاةِ. وقد قال تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِي.[13]"

---

[13] التوبة/119

لقد كان فتح الله گولن واثقًا من كَفَائَةِ مستشارِيهِ الذين كانوا يُسَيِّرونَ ملايين الناسِ من أتباعِهِ. كما أنَّ هؤلاءِ المستشارين كانوا مُعْتَنِقِينَ عقيدَتَهُ ومؤمنون به قائِدًا ربَّانِيًّا مؤيَّدًا من قِبَلِ الله، لا يقطعُ أمرًا إلاَّ وقد هداه الله فيه إلى الصوابِ ولا يُخطِئُ أبدًا. فكانتْ ثِقَتُهُ الجازمُ بهم، وإيمانُهُم الراسخُ به هما الدافعانِ الرئيسانِ أصلاً لسقوطِهِم جميعًا في الهاويةِ، وَفَشَلِهِمْ في محاولةِ الإنقلابِ. ذلك أنَّ جنونَ العظمةِ كان آخذًا برأسِ فتح الله گولن على مثالِ إبليسَ الذي غرَّهُ المرضُ نفسُهُ حتى عَصَى الله فهلك.[14] لأنَّ گولن، كان يرى باطلَهُ حقًّا، ولم يسبقْ في كلِّ حياتِهِ أنْ صدَّقَ أحدًا لِصدقِهِ، كما لم يسبق أنْ رَجَعَ من رأيه إذا نصحهُ أحدٌ أرادَ به خيرًا. بل كان مكابرًا فِرْعَوْنِيًّا، لم يعرفِ الإنصياعَ لقولِ الحقِّ بتاتًا، لِما كان يرى أنه يفقِدُ مكانتَهُ المرموقَةَ، وهيبَتَهُ على أتباعِهِ إنْ تواضع لناصحٍ. لذلك ناصبَ العداءَ لكل مَن نصحه، وعدّهُ من ألدِّ أعدائِهِ، واعتقدَ أنَّ أيَّ ناصحٍ له أو ناقدٍ لفكرِهِ إنما يستخِفُّ به، ويريدُ أنْ يَحُطَّ من شأنِهِ. وبمثل هذه الغطرسةِ والكبرياءِ والعنجهيَّةِ لم يسمحْ لأحدٍ من الخبراءِ الذين في بلاطِهِ أن يخالفَ رأيَهُ قيدَ نملةٍ إلى أنْ أكَبَّهُ الله على وَجْهِهِ وَفَضَحَهُ على رؤوسِ الأشهادِ يوم **15** تموز **2016**م.

قرَّرَ گولن أنْ يتخلَّصَ من أردوغان بتفجيرِ ثورةٍ عسكريَّةٍ للإطاحةِ به والقضاءِ عليه. بدأتْ تجري مشاوراتٌ في قصرِهِ بمدينةِ بانسيلوانيا الأميركيةِ حولَ مشروعِ إنقلابٍ وقد كان له أتباعٌ من الضُّبَّاطِ ذَوُو رُتَبٍ رفيعةٍ في الجيش التركِيِّ. يبدو أنه كان واثقًا من أنهم قادرين على قيادةِ حركةٍ إنقلابيَّةٍ عند الحاجةِ. فتوالتِ الإجتماعاتُ السِرِّيَّةُ لِلْقِمَّةِ الگولنيَّة وهي تدرسُ برنامجَ الإنقلابِ في حمايةِ المخابراتِ الأميركيةِ وقد يكونُ جَرَى بين الطرفين تنسيقٌ في تدبيرِ المؤامرة. وفي غضون ذلك شخصيَّتان من الأقربين إلى فتح الله گولن كانا يحتفظانِ بأسرارِ المشروعِ ويقومان بإجراءِ العلاقاتِ بينه وبيه المجلس الأعلى للتنظيم في تركيا. وهما: كمال باتماز Kemal Batmaz (وهو الآن في المعتقل)، وعادل أوكسوز[15] Adil Öksüz. وقد ثبتَ بالأدِلّةِ الوثائقِيَّةِ قيامُهما بعدَّةِ رحلاتٍ بين تركيا وأميركا خلالَ

---

[14] وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. (البقرة/**34**). وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِين. (الأعراف/**11**). قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِي. (الأعراف/**12**).

[15] عادل أوكسوز Adil Öksüz: يُعدُّ اليدَ اليُمنى لفتح الله گولن؛ وهو مستشارُهُ الأقربُ وأمينُ سِرِّهِ. شارَكَهُ في بناءِ الْهَرَمِ الْگولنِيِّ الذي ضَمَّ آلافًا من الأغنياءِ وأصحابِ الكلِمةِ النافذةِ والمكانةِ الرفيعةِ والجاءِ والشهرةِ والسيطرةِ على العوامِّ في المجتمع التركِيِّ؛ بينهم أكادِميّونَ، وأطِبَّاءُ ومهندسون ورجالُ القانون، والنُّوَّابُ والوزراءُ... استطاعَ أوكسوز بدهائِهِ أنْ يحافظَ على مركزِهِ طِوالَ عقودٍ، ويلعبَ دورًا هامًّا في تسييرِ الحركةِ الگولنيَّةِ، وتوجيهِ أفرادِ التنظيم، وإخفاءِ الهدفِ النهائِيِّ المنشودِ (وهو امتلاكُ زمامِ سلطةِ الدولةِ التُّركيَّةِ) عبر خطةٍ مرحليةٍ تأخذُ من الوقتِ أربعين عامًا!

الأسبوعين الأولين من شهر تموز لعام 2016م. كانا يحملانِ حقيبةَ أسرارِ الإنقلابِ بين قَصْرِ گولن في أميركا وبين المجلس الأعلى للتنظيم في تركيا. كما ثبت أنَّ الرحلات التي قام بها عادل أوكسوز منفردًا بين تركيا وأميركا ما بين أعوام (2002–2016)، بلغ عددُهَا مائةً وتِسعَ رحلات، وهذا يُنْبِئُ بِأنَّ الرجلَ كان يحتلُّ منصبًا هامًّا ضمن الشبكة الگولنية كما ينبئُ أن الشبكةَ كانت تتأهّبُ منذ بداية شهر تموز من عام 2016م. للوثوبِ على سلطة الدولة التركيةِ.

أظهرت البحوث اعتمادًا على مصادر إعلامية واستخباراتية أنَّ قمةَ الشبكةِ الگولنِيَّةِ قرَّرتْ تفجيرَ الثورةِ فجرَ يومِ السادس عشر من شهر تموز/2016م. إلاَّ أنَّ أخبارَ تحرُّكاتِها تسرَّبَتْ إلى جهاز الإستخبارات بواسطة رائدٍ (لا يزال اسمه في طيِّ الكتمانِ)[16]. هذا، ورغمَ مُضِيِّ سنةٍ كاملةٍ على الإنقلابِ الفاشلِ ما زالت عدّةُ تساؤُلاتٍ حولَ هذه الحركةِ تنتظر الإجابةَ، وهي تتوارى بغموضٍ قد يدومُ سنواتٍ حتّى تَتَفَشَّى أخبارُها مع الزمان كما هي الحالُ بالنسبةِ لكثيرٍ من أعمالِ التنظيمات السّرّيَّةِ وخططِها الإجرامِيَّةِ. ومن أهمّ هذه التساؤلات: "أن القائدَ الأعلى للقواتِ المسلحة التركيةِ ورئيسَ جهاز الاستخبارات كيفَ غفلاَ عن استعداداتِ الإنقلابِيّين قبلَ أن ينطلقوا إلى الشارعِ، وقد

اختفى أوكسوز طَوالَ مشاركتِهِ لفتح الله گولن تحت ستارِ الْمِهْنَةِ الْعِلْمِيَّةِ ابتداءً من تخرُّجِهِ عام 1991م. في كلِّيَّةِ الإلهيَّاتِ التابعةِ لجامعةِ أنقره. حصل على شهادة الدكتوراه سنة 2003م في جامعةِ ساكاريا Sakarya وعمل كأستاذٍ مساعدٍ بكُلِّيَّةِ علومِ القرآن الكريم في الجامعةِ نفسِها. وهو أحد أفرادِ القِمَّةِ الگولنِيَّةِ التي صدرتِ الفتوى بتوقيعِهِمْ لقيامِ الإنقلابِ.

أُلقِيَ القبضُ عليه في اللَّحظاتِ الأولَى من فَشَلِ المتمرّدِينَ بينما هو يقودُ الحركةَ بقاعدةِ (آكينجيلار Akırncılar) وأحيلَ فورًا إلى مُجَمَّعِ المحاكمِ لإجراءِ التحقيقَاتِ معه. بَيْدَ أنه استطاعَ بلباقةٍ ودهاءٍ أن يُقنِعَ الْمُدَّعِيَّ العامَّ "أنه كان يبحثُ عن مزرعةٍ قُرْبَ القاعدَةِ يريد شراءَها، وإذا بدوريةٍ عسكريَّةٍ فَاجَأتْهُ وألقتِ القبضَ عليه، وأنَّه لا يعلم ولا يفهم شيئًا عمَّا يجري، وأنَّ كونَهُ شخصًا مدنيًّا وحيدًا في المعسكرِ دون أي مناسةٍ يُفَسِّرُ غرابَةَ الأمرِ ويبرهن على براءتِهِ من كل ما هو موضوعُ الْمُسَائَلَةِ..." فلما استمع إليه المدعي العامُّ وهو يكلِّمُهُ بسكينةٍ ودمٍ باردٍ، ولم يجدْ عليه من دليلٍ يكذِّبُهُ أطلقَ صراحهُ، فكان ذلك فرصةً ذهبيةً استغلَّها عادل أوكسوز، وانطلق بسرعةٍ وغابَ منذ ذلك اليوم، تبحثُ عنه السلطاتُ التركيَّةُ ولم تعثُرْ على أدنى أثرٍ له في الداخلِ والخارجِ كما قيل: لَقَدْ ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو * فَمَا رَجَعَتْ وَمَا رَجَعَ الْحِمَارُ!

على رغم حَمْلَةِ الدِّعَايَاتِ الإعلاميَّةِ حولَ الرجلِ بـ"أنه داهيةٌ في المكرِ والْخِدَاعِ واختلاقِ الحِيَلِ وتشويشِ الأفكارِ وإرباكِ العقولِ.. وأنَّهُ استطاعَ بذلك أنْ يَتَنَصَّلَ من الورطةِ التي وقعَ فيها ويذهبَ مع الريح! وَيَنْجُوَ بذلك من الخطرِ الذي كاد أنْ يُؤَدّيَ به إلى الهلاكِ" على رغمِ كلِّ هذه الدعاياتِ التي تبثُّها الإعلامُ الأردوغانيُّ وتدعمُها الحكومةُ التركيَّةُ لِمُجَرَّدِ التعميةِ، ذاعت شائعاتٌ: "أنّه قُضِيَ عليه من قِبَلِ كتيبةِ الإغتيالاتِ التابعة لجهازِ الإستخبارات؛ لأنَّهُ كان دسَّاسًا انتهازِيًّا ثُنائِيَّ الوجهِ. احتلَّ مركزًا هامًّا في جهاز الاستخباراتِ التركيَّةِ في الوقتِ الذي تسلَّلَ إلى قلبِ الشبكة الگولنِيَّةِ وأصبحَ أقربَ عنصرٍ إلى فتح الله گولن، فحصل على أدقِّ معلوماتٍ حول نشاطاتِ الحِلْفِ (الأردوغاني–الگولنِيِّ على السواءِ)... لذا، لو أبْقِيَ على قيدِ الحياةِ ومُثِلَ أما المحاكمِ المفتوحةِ للعامَّةِ، لأفَشَى ما يتركُ العقولَ حائرةً وَتقَرُّ بهِ عينُ إبليسَ من أسرارِ المشاركة بين رجب طيب أردغان وفتح الله گولن، ولأفتضحت الحكومةُ التركية بما وقعت فيه من ألوان الفسادِ وإثارةِ العنصرية التركية، واستغلالِ اللاجئين السوريّين، واستخدامِ المافيا النقشبندية في ترسيخ الديانة المسلمانية لتشويه الإسلامِ وتتريكه وتحريفِ تعاليمه..." ما زالت هذه الشائعات تدبُّ بين العامّةِ بخفاءٍ بالغ عبرَ قنواتِ الْهَمْسِ وسراديب الوشوشة!

[16] هذا الرجل، اعْتَقَلَتْهُ السلطاتُ التركيةُ فورَ إبلاغِهِ أخبارَ استعداداتِ الإنقلابيّين وتحرُّكاتِهم قبل خروجهم إلى الشارعِ، فكان باعثًا للاستغراب والتساؤلاتِ في أوساط العامةِ. وقيلَ: إنما اعْتَقَلَتْهُ السلطةُ لأنه ثبت بإقرارِهِ بالذات "أنه كان عضوًا في الشبكة الإرهابية الگولنِيَّةِ"، وعُدَّ ذلك جريمةً مُعْتَرَفًا بِهَا، فلم ينفعه الإبلاغُ عن نوايا أصحابِهِ في آخر لحظةٍ أرادَ أن يتنصَّلَ من مسؤولية الجريمة خوفًا على نفسِهِ عندما بدتْ له بوادرُ الفشلِ.

أسفرت هجماتُهمُ المسلَّحَةُ عن عددٍ كبيرٍ من القتلى والجرحى؟! فمن المسؤول إذًا عن هذه الجنايات؛ المتمردون أم القِمَّتَانِ السياسيةُ والعسكريَّةُ" إنَّ هذا الأمر –لا شكَّ– يَتَّسِمُ بخطورةٍ بالغة.

اختلفتِ الآراءُ حولَ هذه المشكلةِ العويصَةِ التي لم تَتَّضِح نتائجها بعدُ، وقد حظَّرَ جهازُ القضاءِ تسريبَ المعلومات الخاصَّةِ بِالْمُتَّهَمِينَ لحين صدورِ الحكم النهائيّ بحقِّهِم. مع ذلك ظلَّ الإعلامِيُّونَ والمحلّلُونَ السياسيُّونَ يتناولون النقاطَ الهامَّةَ لهذه الحركة، ويتناقشون أسبابَ فشلِها، كما يتباحثون في الوقتِ ذاتِهِ عن مدى مسؤليةِ الحكومةِ، وغَفلةِ قمةِ القُوَّاتِ المسلحةِ وجهازِ الاستخبارتِ عن تحرُّكاتِ المتمرِّدِين، وَعَجْزِهِمَا عن إحباطِ محاولاتِهم والحيلولَةِ دون خروجِهِم، وقد أسفرتْ عن انتهاكِ الحرماتِ وقتلِ وجرحِ مئاتٍ من الأرواحِ وإلحاقِ خسائرَ فادحةٍ بمؤسساتِ الدولة ومُمْتَلَكَاتِ المواطنين...

ثمَّ تلفيقاتٌ في نقلِ الأخبارِ الخاصَّةِ بانْدِلاَعِ الثورةِ الگولنِيَّةِ التي أسْمَتْهَا الحكومةُ (الأردوغانيةُ) بِمُصْطَلَح "فَتُو FETO"[17] نسبةً إلى فتح الله گولن، وقد شاعت هذه التسميةُ عبرَ الإعلامِ التركِيِّ في أوساطِ المجتمع؛

يذهبُ بعضُ المحلِّلينَ السياسيِّينَ: أنَّ هذه الحركةَ التي تُنسَبُ إلى "الشبكةِ الإرهابِيَّةِ الْگولنِيَّةِ" لا يجوز عقلا أن يكون أنصارُ فتح الله گولن (المندسون في صفوفِ القوات المسلحة) قد تَحَمَّلُوهَا على انفرادِهِم؛ بل قد شارَكَتْهم فيها كُتَلٌ أخرى من الضباطِ ذوي الأغراضِ والنزعات المتباينة. ومن جملة الفرضيات حول القضية: يقال: إنَّ الإنقلابيّين كانوا يتألَّفُون من ثلاثِ فئاتٍ مختلفةِ الإتجاهاتِ السياسيَّةِ والآمالِ والطموحات:

الفئةُ الأولَى التي احتلتِ المكانةَ القياديَّة للتنظيمِ وحملتْ لواءَ التمرُّدِ: كانوا أنصارَ فتح الله گولن، وعددُهم أقلُّ من الفئتين الأُخْرَيَيْن. يتَّسمون بالكراهيةِ الشديدةِ للرئيس أردوغان لِمُنَافَسَتِهِ "القائِدَ الأعظَمَ، إمامَ الثقلينِ، ظِلَّ اللهِ الْمُقَدَّسِ، المبعوثَ لتوحيدِ الدياناتِ السماويَّةِ الثلاثِ: فتح الله گولن. جلّت عظَمَتُهُ وعمَّتْ بركتُهُ على الْمُسْلُمَانِيّين والنصارى واليهود!" على حدّ اعتقادِهِم.

---

[17] هذا المصطلحُ مختصرٌ للاسمِ الْمُلصَقِ بجماعةِ فتح الله گولنِ، وصيغتُهُ باللغة التركية Fethullahçı Terör Örgütü، يقابلها باللغة العربية: "الشبكةُ الإرهابِيَّةُ الْگولنِيَّةُ"

والفئةُ الثانيَّةُ: كانوا جماعةً من العلمانيّين واليساريّين والأتاتوركيّنَ، وعددُهم أكثر من الفئةِ الأولَى وأقل من الفئة الثالثةِ. يحقدون على أردوغان "لِنزعتِهِ الدينيَّةِ، وكونِهِ رجلاً محافظًا يناهضُ السلوكياتِ الغربيَّةَ، كامتناعِهِ من تناولِ الخمورِ، وحضورِهِ إلى المساجدِ، وكونِ زوجته محجبةً... ولتطويرِ علاقات بلده مع العالَمِ العربي والإسلاميّ، واحترازِهِ عن النطق بكلمة "أتاتورك" عند ذكرِ اسمِ مصطفى كمال، وهذا يُعدُّ من الإهانة بشأنِ إلَهِ الأتراكِ ومنقِذِهم من أسرِ الدِّينِ والشعوذةِ..."كذلك على حدِّ اعتقادِهم.

والفئةُ الثالِثَةُ: كانوا لفيفًا من الإمَّعَةِ وَالْمُرْتَزَقَةِ واللِّئام؛ كانوا أكثرَ عددًا من الفئتين الأُخْرَيَيْن. لم يُشارِكُوا في هذه المغامرةِ الخطيرةِ إلاَّ لاستغلالِ فرصةٍ عسى أنْ يحصلُوا على غنائمَ أو مصالِحَ شخصيةٍ لِيُشبِعوا بها نَهَمَهُمْ، ويتمتَّعوا من حظوظِ الدنيا، ويسعدوا بالشهرةِ والرئاسات والمناصب الزائلة...

امتدَّ مسارُ التمرُّدِ الگولنِيِّ عبرَ سلسلةٍ من الأحداثِ التي بدأت صبيحةَ يوم **15** تموزٍ وَدَامَتْ إلى منتصف يوم **16** تموز **2016**م. وذلك وفق معلوماتٍ تمَّ ضبطُها من قِبَلِ أجهزةِ الإعلامِ على هذا الترتيبِ الزمنِيّ، وفيها شِبْهُ إجماعٍ، وهذه قصتُها باختصار:

وصلَ عسكرِيٌّ برتبةِ رائدٍ إلى مقرِّ جهازِ الاستخباراتِ بِأنقره في الساعة الخامسةِ إلاَّ ربعًا مساءَ يوم **15** تموز **2016**م.، وقام بإبلاغِ المسؤولين هناك: "أنَّ جماعةً من الضباطِ ذَوَيْ رُتَبٍ رفيعةٍ قاموا باجتماعٍ دون علمِ قِمَّة القوّات المسلَّحَةِ وأجمعوا على اغتيالِ رئيسِ جهازِ الاستخباراتِ (خاقان فيدان Hakan Fidan)."

اختلفتِ الآراءُ فيما إذا كان الرائدُ هذا قد اكتفى بهذا القدرِ من الإخْبارِ فحسب، أم أنه أخبر المسؤولين في الوقتِ ذاته عن عزمِ هذه الجماعةِ السرِّيَّةِ على حركةٍ إنقلابيَّةٍ؟ لا يزال هذا السؤالِ يدورُ حوله النقاشُ منذ سنةٍ كاملةٍ والإجابةُ الصحيحةُ عنها تتوارى بضبابٍ من الغموضِ. وقد يكون مردُّ ذلك إلى أراجيفَ يبثُّها عناصرُ من "الشبكةِ الإرهابيَّةِ الْگولنِيَّةِ" الذين مازالوا مُنْدَسِّين في الإعلامِ التركِيِّ يعبثون بالأخبارِ لتشويش الرأيِ العامّ وإثارة الشعبِ انتقامًا من الحكومة والمجتمع!

يُقالُ: إنَّ رئيسَ جهاز الاستخبارات (خاقان فيدان Hakan Fidan) قام بزيارةٍ إلى مقرِّ القيادة العامَّةِ للقوات المسلَّحَة التركيةِ على وجه السرعةِ وكلَّمَ رئيسَ الأركانِ (الفريق خلوصي آكار Hulusi Akar)؛ أخْبَرَهُ بما لديه من نبأِ الإنقلابِيّين، فأصدرَ رئيسُ الأركانِ في حِينِهِ أمرًا صارمًا في الساعةِ السادسةِ

والنصف مساءً إلى جميعِ القواعدِ العسكريَّةِ على الساحةِ التركِيَّةِ: "أنه يُمنع الطيرانُ منعًا باتًّا بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الطائرات فوقَ أجواءِ البلدِ حتّى إصدارِ الإعلانِ بإلْغَاءِ حَظْرِ الطيران."

على رغم هذا الإدِّعاءِ، فقد سبقَ أنْ أعْلَنَ الإنقلابِيُّونَ عن قيامِ الثورةِ ونشروا بَلاَغًا على الموقعِ الألكترونِيّ للقواتِ المسلَّحَةِ جاءَ فيه: "أنهم قد تسلَّموا السلطةَ في تمامِ الساعةِ الثالثةِ مساءً، وأنَّ حظرَ التجوُّلِ سيبدأ في تمامِ الساعةِ السادسةِ مساءً"، فلم يَلْبَثْ حتى انطلقَ الجنودُ المتمرّدُونَ ومعهم الأسلحةُ والدبَّاباتُ والعرباتُ العسكريَّةُ، انتشروا على شوارعِ جميعِ الْمُدُنِ حوالى الساعةِ التاسعةِ ليلاً، كما انطلقَ ملايينُ الناسِ إلى الشوارعِ في الوقتِ نفسِهِ، فأنهالوا على المتمرِّدِينَ كالسيلِ العارمِ يحاولون إيقافَهم بمجرَّدِ أبدانِهِمْ التي جعلوا منها حواجزَ أمامَ الدبَّاباتِ والعرباتِ العسكريَّةِ الرهيبة، ينصحون الجنودَ بالرجوعِ إلى ثكناتِهم. والجنودُ يرُشُّونَ عليهم الرصاصَ ويقصفونَ مجلِسَ النوابِ (مَقَرَّ الْبَرْلَمَانِ) وَمُجَمَّعَاتِ قُوَّاتِ الشُّرْطَةِ الموالِيةِ للحكومةِ حيث بَلَغَ عددُ الضحايا برصاصِ المتمرِّدِينَ **250** قتيلاً، و**193 2** جريحًا خلالَ ساعاتٍ قليلةٍ في الليلةِ نفسِهَا.

شاعتْ الأخبارُ فيما بعدُ أنَّ قِمَّةَ الحكومةِ التركيةِ اضطربتْ وارْتَبَكَتْ في تلك اللحظاتِ، لانقطاعِ الاتِّصالاتِ بين رئيس الجمهوريةِ ورئيس الوزراءِ والقائدِ الأعلى للقواتِ المسلَّحَة. تُبَرْهِنُ على هذه الحقيقةِ سلسلةٌ من الأحداثِ واعْترافاتٌ رهيبةٌ:

منها: أنَّ رئيسَ الجمهوريةِ رجب طيب أردوغان كانَ يقضي عُطلةً مع أسرتِهِ في منتجعٍ بقضاءِ (مرمريس Marmaris) على ساحلِ بحرِ إيجه. اعترفَ أردوغان بالذات أنَّ نبأَ حركةِ التمرُّدِ بَلَغَهُ في ساعاتٍ مؤخرةٍ، قالَ: "أسمَعَنِي بالنبأِ صهري بَرَاتْ أَلْبَيْرَقْ Berat Albayrak". عاشَ أردوغان ساعاتٍ عصيبةً في فندق (غراند يازيجي Grand Yazıcı Club) الذي كان يُقيمُ فيه، أوشكَ أن يقع في قبضةِ كتيبةٍ من الإنقلابيِّنَ المأمورين باغتيالِهِ، لولا غادرَ الفندقَ قبلَ نصفِ ساعةٍ فقط من وصولِ كتيبةِ الموت إلى الفندق.

ومن هذه البراهين: أنَّ القائدَ الأعلى للقواتِ المسلحة التركيةِ الفريقَ خلوصي آكار Hulusi Akar، ومُساعِدَهُ الفريقَ ياشار گولير Yaşar Güler، وقائدَ القواتِ البريَّةِ الفريقَ صالح ذكي جولاك Salih Zeki Çolak، والقائدَ العامَّ لِقوَّاتِ الدَّرَك الفريقَ غالب مندي Galip Mendi، وقائدَ القواتِ الجويَّةِ الفريقَ عابدين أونال Abidin Ünal، وقائدَ القواتِ البحريَّةِ الفريقَ بولند بوستان أوغلو Bülent

Bostanoğlu، كَلُّهُم وقعوا في قبضةِ الإنقلابِيِّينَ إثرَ مداهمةِ المتمرِّدِينَ مقرَّ القيادةِ العامَّةِ للقواتِ المسلحة، وظلَّ هؤلاءِ الجَنَرَالاَتُ في أسرِهِم من عشية يوم **15** تموز إلى صبيحةِ **16** تموز **2016**م.

ومن هذه البراهين أيضًا: أنَّ قائدَ القواتِ الجويَّةِ الفريقَ عابدين أونال Abidin Ünal كان أثناءَ تلك اللحظات الحساسة في حفلةِ عُرْسٍ بمدينةِ أسكي شهر Eskişehir، كما كان قائدُ القواتِ البحريَّةِ الفريقُ بولند بوستان أوغلو Bülent Bostanoğlu هو الآخر في حفلةِ عُرْسٍ بمنطقة يشيل كوي Yeşilköy في إسطنبول. وهذه كلُّهَا فضائحُ شنيعةٌ سوفَ تَتَجَازُهَا الناسُ وَتَلوكُها على ألسنتِهم وتدخُلُ في سجلِّ التاريخِ بعد سنين على حساب الدولة التركية، بعد أن يفنى الفريقان جميعًا.

ربما يتباهى رئيسُ الجمهوريةِ ورئيسُ الوزراءِ ورجالُ الحكومةِ التركيةِ اليومَ "أنهم تمكّنوا من إخمادِ ثورةٍ خطيرةٍ كادتْ أنْ تدفعَ بالمجتمع إلى أتُونِ فِتنةٍ عظيمةٍ تُخَلِّفُ ورائَهَا ما تقشعرُّ منهُ الجلودُ من حروبٍ وقتالٍ وخرابٍ وَدمار..." لكنَّ الأسبابَ (المتضافرةَ التي أكبَّ اللهُ بها فتح الله گولن وأصحابَهُ على وجوههم وخذلهم في هذه الإنطلاقةِ الشعواءِ)، لا نجدُ بينها من أدنى حَرَاكٍ لرجالِ الحكومةِ أو للعسكريّين الموالين لها يُثْبِتُ أنْ كان لأحدِهم أثرٌ في إيقافِ هذه الداهيةِ، سوى كلماتٍ قليلةٍ دندن بها أردوغان عبرَ هاتفٍ نَشَرَتْهَا إحدَى القنواتِ الفضائية، وذلك بعد أن ظهرتْ بوادرُ الفشلِ في صفوفِ المتمرّدين. بل كان أفرادُ القِمَّتَين السياسيَّةِ والعسكريَّةِ أكثرُهُمْ غافلين عن دبيبِ العصابةِ الگولنيةِ بين صفوفِهِمْ كما سبقتِ الإشارةُ لها آنفًا. يؤكّدُ وقوعَ هذه الغفلةِ كلمةٌ لِقائدِ القواتِ الخاصّةِ الفريق ذكائي أكسكالّي Zekai Aksakallı، يقول فيها: "يُصْدَرُ الأمرُ فورًا إلى جميع القطاعات العسكريةِ على أرض الوطن عند حدوثِ أمرٍ طارِئٍ؛ أنه يُمنَعُ منعًا باتًّا مغادرةُ أيّ شخصٍ مكانَ عَمَلِهِ مهما كان عذرُهُ. لكنَّ هذا المبدأ الهامَّ لَمْ يُلْتَزَمْ به عند وصولِ خبرِ المتمرِّدِين إلى القيادة العامّةِ يوم **15** تموز **2016**م. فلو أُخِذَ الخبرُ في الاعتبارِ لَفَشَتْ أسرارُ الخطَّةِ قبلَ وقوعِها."

كلُّ هذه التناقضاتُ الْمُلْتَفَّةُ حولَ قصَّةِ الإنقلابِ إنّما تُنْبِئُ عن فتورٍ وتلاشٍ للاتّصالاتِ بين جهازِ الاستخباراتِ وقيادة القوات المسلحة والحكومة، خاصّةً وأنَّ وقوعَ رئيس الأركان وكبارِ رجالِ القيادةِ في أسر الإنقلابِيّين على مدى ساعات يُعَدُّ فضيحةً مُخْزِيَةً. ذلك أن الإنقلابيّين احتجزوا القائدَ العامَّ للقوات المسلحة في تمامِ الساعةِ الحاديةَ عشرةَ ليلاً، أيْ بعد مُضِيِّ **8** ساعاتٍ على علمِهِ باجتماع المتمرِّدِينَ واستعداداتهم للوثوب على السلطة؟. كذلك؛ اعترافُ رئيس الجمهوريةِ: "أنه لم يتمكّنْ من الاتصالِ برئيس الأركان ولا برئيس جهازِ الاستخباراتِ يُعَدُّ أيضًا فضيحةً أكبرَ تُنْبِئُ عن غفلة قِمَّةِ

الدولة التركيةِ بجميعِ أفرادِها، وأنها لم تكن تحظى بالنجاةِ من غضبِ المتمرّدِين لولا انتفض الشعبُ ووقف الملايينُ بأبدانهم أمامَ الدبّاياتِ وافتدوا بأرواحهم حتى أخمدوا الثورةَ بدمائهم."

من غرائب الأمورِ وعجائبِها أنَّ الحكومةَ التركيَّةَ الأردوغانيَّةَ تستغلُّ اليومَ تلك الانتفاضةَ الشعبيةَ التي أحبطتْ ثورةَ العصابةِ الگولنيةِ وأنقذتِ البلدَ من حربٍ أهليٍّ وشيكةِ الوقوعِ. تحتكرُ الحكومةُ هذا الانتصارَ الشعبيَّ بكُلِّ ضروبِ الحِيَلِ، وَعَبْرَ وَابِلٍ من الدِّعَايَاتِ، لِتُخْفِيَ بذلك الهزيمةَ التي بَاءَتْ بها أمامَ المتمرِّدِينَ (حتى لا ينشغلَ أحدٌ بهروبِهم يمينًا وشمالاً، واندحارِهِم أمامَ الإنقلابيّين، واختفائِهم في أعماقِ الأنفاقِ وداخلَ غُرَفِ الفنادِقِ، وفي مخافر الشرطة، وسقوطهم تحت أسر الإرهابِيّين!). وقد نجحتِ الحكومةُ في هذه الحيلةِ بأشكالٍ من التعمِيَةِ والتشويشِ والتزوير... أمَّا أخسُّهَا شنَاعَةً وأرذَلُها تضْلِيلاً: فتتمثَّلُ في اتِّجارِ الحكومةِ بمفهومِ (الشهيدِ). وهو مصطلحٌ قرآنِيٌّ مقدَّسٌ له ضوابِطُهُ في القفهِ الإسلامِيّ. لا علاقةَ بين هذا المصطلحِ وبينَ الديانة المسلمانيةِ، كما لا يَمُتُّ بِصِلَةٍ إلى النظامِ التركِيِّ العلمانِيِّ على الإطلاق.

ظلَّتِ الحكومةُ تحتكرُ هذا المفهومَ المقدَّسَ وتتَّجِرُ بِهِ لكسبِ ثقةِ المجتمعِ والاستفادةِ من دعمِهِ في الانتخاباتِ القادمةِ؛ تلوكُ هذه الكلمةَ الشريفةَ على كل صعيدٍ ومن غير مناسبةٍ، وقد اتَّخذتْ منها سِلاحًا في مواجهة العلمانيّين والأكرادِ والأتاتوركيّين وأحزابِ المعارضةِ. تشبَّثَتِ الحكومةُ الأردوغانيَّةُ بهذه الذريعةِ لتتمايزَ عن معارضيها في نظرِ المجتمَعِ: "أنها حكومةٌ مُحافِظَةٌ تحترِمُ الديانةَ المسلمانيةَ ومقدَّساتِها." ومِنْ حُسْنِ حظِّها؛ أنَّ المجتَمَعَ يدينُ بالمسلمانيةِ وَيَعْتَنِقُها قديمًا ويتعصَّبُ لها، ولا يزالُ يجهلُ الفرقَ بين الإسلامِ (دين التوحيدِ) وبين هذه الديانةِ الوثنِيَّةِ القبورِيَّةِ!